المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر — الاحد ٢٩ جمادى الاولى ١٣٢٩ — ٢٨ مايو (أيار) سنة ١٢٨٩ هـ ١٩١١ م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٧٣ : ٧٦) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤:٧٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَٰنِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥ : ٧٨) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِينَ

كَفَرُوا يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّـٰغُوتِ، فَقَـٰتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَـٰنِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا

امر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من أعداء الدعوة الاسلامية وأهلها بالاستعداد التام للحرب ، وبالنفر وكيفية تعبئة الجيش وسوقه، وذكر حال المبطئين عن القتال ، وكونها لا تتفق مع ما يجب ان يكون عليه أهل الايمان، ثم أمر بالقتال المشروع يرغب فيه المؤمنين الذين يؤثرون ما عند الله تعالى في دار الجزاء على الكسب والغنيمة وعلى الفخر بالقوة والغلب فقال

﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ قال الاستاذ الامام : بين الله تعالى حال ضعفاء الايمان الذين يبطئون عن القتال في سبيله ثم دلهم بهذه الآية على طريق تطهير نفوسهم من ذلك الذنب العظيم ذنب القعود عن القتال ولو عملوا كل صالح وضعفت نفوسهم عن القتال لما كان ذلك مكفرا لخطيئتهم ، وسبيل الله الدفاع عن الحق والانتصار له فمنه إعلاء كلمة الله ونشر دعوة الاسلام ومنه دفاع الاعداء اذا هددوا أمتنا ، او أغاروا على أرضناء أو نهبوا أموالنا ، أو صادرونا في تجارتنا ، وصدونا عن استعمال حقوقنا مع الناس فسبيل الله تأييد الحق الذي قرره ويدخل فيه كل ما ذكرناه . ويشرون بمعنى يبيعون قولا واحدا بلا احتمال ، واستعمال القرآن فيه مطرد ففي سورة يوسف (وشروه بثمن بخس) أي باعوه وقال تعالى (ولبئسما شروا به أنفسهم) أي باعوها وقال (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) اي يبيعها ، والباء في صيغة البيع تدخل على الثمن دائما ، فالمعنى ان من أراد ان يبيع الحياة الدنيا ويبذلها ويجعل الآخرة ثمنا لها وبدلا عنها فليقاتل في سبيل الله

أقول ان المفسرين ذكروا في (يشرون) وجهين أحدهما انه بمعنى البيع كما اختار الاستاذ الامام والثاني أنه بمعنى الابتياع الذي يطلق عليه في عرفنا الان الشراء . وقد قال المفسرون ان شرى يشري يستعمل بمعنى باع وبمعنى ابتاع

وان اللفظ في الآية يحتمل المعنيين فان أريد به البيع فهو للمؤمنين الصادقين الكاملين وان اريد به الابتياع فهو لاولئك المبطئين ليتوبوا وذهب الراغب الى ان الشراء والبيع انما يكون بمعنى واحد اذا كان عبارة عن استبدال سلعة بسلعة واما اذا كان استبدال سلعة بدارهم فلا . والقرآن استعمل لفظ شرى يشري بمعنى باع يبيع ، واشترى يشتري بمعنى ابتاع يبتاع ، فهذا هو الصحيح أو الفصيح وان ورد عن أهل اللغة «شريت بردا» بمعنى اشتريته في الشعر بدون ذكر الثمن وقد يذكر الثمن أو البدل وقد يسكت عنه وهو ماتدخل عليه الباء دائما سواء استعمل الشراء والبيع في الحسيات أو المعنويات .

﴿ ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ أي ومتى كان القتال في سبيل الله لا لأجل الحمية والحظوظ الدنيوية فكل من قتل بظفر عدوه به ففاته الانتفاع بالقتال في الدنيا فان الله تعالى يعطيه في الآخرة أجرا عظيما بدلا مما فاته . وهو اذا ظفر وغلب عدوه لا يفوته ذلك الاجر لانه انما ناله بكون قتاله في سبيل الله وهي سبيل الحق والعدل والخير لا في سبيل الهوى والطمع

﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله ﴾ التفات الى الخطاب لزيادة الحث على القتال الذي لا بد منه لكونه في سبيل الحق أي وماذا ثبت لكم من الاعذار في حال ترك القتال حتى تتركوه ؟ أي لا عذر لكم ولا مانع يمنعكم ان تقاتلوا في سبيل الله ، لاقامة التوحيد مقام الشرك ، وإحلال الخير محل الشر ، ووضع العدل والرحمة ، في موضع الظلم والقسوة ﴿ والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ أي وفي سبيل المستضعفين ، أو وأخص من سبيل الله انقاذ المستضعفين ، من ظلم الاقوياء الجبارين ، وهم إخوانكم في الدين ، وقد استذلهم أهل مكة ونالوا منهم بالعذاب والقهر ، ومنعوهم من الهجرة ، ليفتنوهم عن دينهم ، ويردوهم في ملتهم ، قال الاستاذ الامام الخطاب لضعفاء الايمان من المسلمين لا للمنافقين ، والمستضعفون هم المؤمنون المحصورون في مكة يضطهدهم المشركون ويظلمونهم وقد جعل لهم سبيلا خاصا عطفه على سبيل الله مع أنه داخل فيه كما علم من تفسيرنا له ، والنكتة فيه

إثارة النخوة ، وهز الاريحية الطبيعية ، وايقاظ شعور الأنفة والرحمة ، ولذلك مثل حالهم ، بما يدعو الى نصرتهم ، فقال ﴿ الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ أقول بين أنهم فقدوا من قومهم لأجل دينهم كل عون ونصير ، وحرموا كل مغيث وظهير ، فهم لتقطع اسباب الرجاء بهم ، يستغيثون ربهم ، ويدعونه ليفرج كربهم ، ويخرجهم من تلك القرية وهي وطنهم ، لظلم أهلها لهم ، ويسخر لهم بعنايته الخاصة من أمرهم ، وينصرهم على من ظلمهم ، ليهاجروا اليكم ، ويتصلوا بكم ، فان رابطة الايمان ، أقوى من روابط الانساب والاوطان ، (وان جهل ذلك في هذا الزمان من لا حظ لهم من الاسلام) فليكن كل منكم وليالهم ونصيرا ، وقدبينا بعض ما كان عليه مشركو مكة من ظلم المسلمين وتعذيبهم ، ليردوهم عن دينهم ، في تفسير (والفتنة أشد من القتل) من سورة البقرة حتى كان ذلك سبب الهجرة وما كل أحد قدر على الهجرة فالنبي (ص) وصاحبه (رض) هاجرا ليلا ولو ظفروا بهما لقتلوهما ان استطاعوا وكانوا يصدون سائر المسلمين عن الهجرة ، ويعذبون مريدها عذابا نكرا ، وما كان سبب شرع القتال الا عدم حرية الدين ، وظلم المشركين للمسلمين ، ومع هذا كله ، وما افاضت به الآيات من بيانه ، يقول الجاهلون والمتجاهلون ، ان الاسلام نشر بالسيف والقوة ، فاين كانت القوة من أولئك المستضعفين ؟

القتال في نفسه أمر قبيح ولا يجيز العقل السليم ارتكاب القبيح الا لإزالة شر أقبح منه ، والامور بمقاصدها وغاياتها ، ولذلك بين القرآن في عدة مواضع حكمة القتال وكونه للضرورة وازالة المفسدة ، وادالة المصلحة ، ولم يكتف هنا ببيان ما في هذه الآية من كون القتال المأمور به مقيدا بكونه في سبيل الله وهي سبيل الحق والعدل ، وانقاذ المستضعفين المظلومين من الظلم ، حتى أكده باعادة ذكره ، مع مقابلته بضده ، وهو ما يقاتل الكفار لاجله ، فقال

﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ تقدم ان الطاغوت من المبالغة في الطغيان وهو مجاوزة حدود الحق والعدل والخير ،

لى الباطل والظلم والشر ، فلو ترك المؤمنون القتال والكافرون لايتركونه لغلب الطاغوت وعم ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » فغلبت الوثنية المفسدة للعقول والاخلاق ، وعم الظلم بعموم الاستبداد ، ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾ فأنتم أيها المؤمنون أولياء الرحمن ، ﴿ ان كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ لانه يزين لاصحابه الباطل والظلم والشر ، واهلاك الحرث والنسل ، فيوهمهم بوسوسته أنها خير لهم ، وفيها عزهم وشرفهم ، وهذا هو الكيد والخداع . ومن سنن الله في تعارض الحق والباطل ، ان الحق يعلو والباطل يسفل ، وفي مصارعة المصالح والمفاسد بقاء الاصلح ، ورجحان الامثل ، فالذين يقاتلون في سبيل الله يطلبون شيئا ثابتا صالحا تقتضيه طبيعة العمران فسنن الوجود مؤيدة لهم ، والذين يقاتلون في سبيل الشيطان يطلبون الانتقام ، والاستعلاء في الارض بغير حق ، وتسخير الناس لشهواتهم ولذاتهم وهي أمور تأباها فطرة البشر السليمة ، وسنن العمران القويمة ، فلا قوة ولا بقاء لها ، الا بتركها وشأنها ، وارخاء العنان لاهلها ، وانما بقاء الباطل في نومة الحق عنه ، وثم معنى آخر ، قال الاستاذ الامام : هذه الآية جواب عما عساه يطوف بخواطر أولئك الضعفاء ، وهو اننا لانقاتل لاننا ضعفاء والاعداء أكثر منا عددا ، وأقوى منا عددا ، فدلهم الله تعالى على قوة المؤمنين التي لاتعادلها قوة ، وضعف الاعداء الذي لايفيد معه كيد ولا حيلة ، وهوان المؤمنين يقاتلون في سبيل الله وهو تأييد الحق الذي يوقن به صاحبه وصاحب اليقين والمقاصد الصحيحة الفاضلة تتوجه نفسه بكل قواها الى اتمام الاستعداد ، ويكون أجدر بالصبر والثبات ، وفي ذلك من القوة ماليس في كثرة العدد والعدد

أقول وفي هذه الآيات من العبرة ان القتال الديني أشرف من القتال المدني لان القتال الديني في حكم الاسلام يقصد به الحق والعدل وحرية الدين وهي المراد بقوله تعالى « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة » أي حتى لا يفتن أحد عن دينه ويكره على تركه « لا إكراه في الدين » وقال في وصف من اذن لهم بالقتال بعد ما بين إلجاء الضرورة اليه « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا

بالمعروف ونهوا عن المنكر » وتقدم شرح ذلك مرارا . وأما القتال المدني فانما يقصد به الملك والعظمة ، وتحكم الغالب القوي في المغلوب الضعيف ،وانما يذم أهل المدنية الحرب الدينية لانهم أولو قوة وأولو بأس شديد في الحروب المدنية ، ولهم طمع في بلاد ليس لها مثلها تلك القوة ، وانما لها بقية من قوة العقيدة ، فهم يريدون القضاء على هذه البقية

ومنها ان آيات القتال في السور المتعددة تدل اذا عرضت عليها أعمال المسلمين على أن الحرب التي يوجبها الدين و يشترط لها الشروط ويحدد لها الحدود ، قد تركها المسلمون من قرون طويلة ولو وجدت في الارض حكومة إسلامية تقيم القرآن وتحوط الدين وأهله بما أوجبه من إعداد كل مايستطاع من قوة واستعداد للحرب حتى تكون أقوى دولة حربية ثم انها مع ذلك تجتنب الاعتداء فلا تبدأ غيرها بقتال بمحض الظلم والعدوان ، وتقف عند تلك الحدود العادلة في الهجوم والدفاع ، او وجدت هذه الحكومة لاتخذها أهل المدنية الصحيحة قدوة صالحة لهم ، ولقد صار بعض الامم التي لاتدين بالقرآن أقرب الى أحكامه في ذلك ممن يدعون أتباعه، وانما الغلبة والعزة لمن يكون أقرب الى القرآن بالفعل ، على من يكون ابعد عنه وان انتسب اليه بالقول ،

ومن مباحث اللفظ في الآية الثانية تذكير صفة اللفظ المؤنث في قوله «القرية الظالم أهلها » لتذكير ماأسند اليه فان اسم الفاعل أو المفعول اذا أجري على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ماعمل فيه ، فالظالم أهلها هنا كقولك التي يظلم أهلها

(٧٦ : ٧٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ ، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ، وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ، قُلْ مَتَٰعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ،

وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى . وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٧: ٨٠) اَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ، قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَمَالِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨ : ٨١) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا

أخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس ان عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي (ص) فقالوا يانبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة . فقال « أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم » فلما حوله الله الى المدينة أمرهم بالقتال فكفوا ، فانزل الله « ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم »الآية ذكره السيوطي في لباب النقول . ورواه ابن جرير في تفسيره وعنده روايات أخرى أنها في اناس من الصحابة على الابهام

قال الاستاذ الامام : إنني اجزم ببطلان هذه الرواية مهما كان سندها لانني ابرئ السابقين الاولين كسعد وعبد الرحمن مما رموا به ، وهذه الآية متصلة بما قبلها فان الله تعالى امر بأخذ الحذر والاستعداد للقتال والنفر له وذكر حال المبطئين لضعف قلوبهم وأمرهم بما أمرهم من القتال في سبيله وانقاذ المستضعفين ، ثم ذكر بعد ذلك شأناً آخر من شؤونهم وذلك ان المسلمين كانوا قبل الاسلام في تخاصم وتلاحم وحروب مستحرة مستمرة ولا سيما الاوس والخزرج فان الحروب بينهم لم تنقطع إلا بالاسلام و بعد هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم. امرهم الاسلام بالسلم وتهذيب النفوس بالعبادة والكف عن الاعتداء والقتال الى أن اشتدت الحاجة

اليه ففرضه عليهم فكرهه الضعفاء منهم ، قال تعالى ﴿ ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ الاستفهام للتعجيب منهم اذ امرهم الله تعالى باحترام

الدماء ، وكف الايدي عن الاعتداء ، و باقامة الصلاة ، و بالخشوع والعبودية لله، وتمكين الايمان في قلوبهم ، و بإيتاء الزكاة التي تفيد مع تمكين الايمان شد أواخي التراحم بينهم، فأحبوا أن يكتب الله عليهم القتال ليجروا على ما تعودوا ، فلما كتبه عليهم للدفاع عن بيضتهم، وحماية حقيقتهم، كرهه الضعفاء منهم، وكان عليهم ن يفقهوا من الامر بكف الايدي أن الله تعالى لا يحب سفك الدماء ، وانه ما كتب القتال الا لضرورة دفاع المبطلين المغيرين على الحق وأهله لانهم خالفوا أباطيلهم ، واتبعوا الحق من ربهم، فيريدون ان ينكلوا بهم، أو يرجعوا عن حقهم ، فاين محل الاستنكار ، في مثل هذه الحال ؟ وهؤلاء هم ضعفاء المسلمين الذين ذكر انهم

يبطئون عن القتال ولذلك قال ﴿ اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية ﴾ و « أو » هنا بمعنى « بل » أي إنهم يخشون الناس بالقعود عن قتالهم على ما فيه من مخالفة أمر الله تعالى ، ولما كان من شأن الذي يساوي بين اثنين في الخشية أن يميل الى هذا تارة والى الآخرة تارة ، وكان هؤلاء قد رجحوا بترك القتال خشية الناس مطلقا قال « أو اشد خشية » أي بل أشد خشية

أقول استنكر الاستاذ نزول الآية في كبار الصحابة المشهود لهم بالجنة وما استحقوها الا بقوة الايمان ، والعمل والاذعان ، وجعلها في المبطئين على الوجه الذي اختاره فيهم وهو أنهم ضعاف الايمان والوجه الآخر أنهم المنافقون كما تقدم، فكيف تصدق رواية تجعل عبد الرحمن بن عوف منهم ؟؟

وقد روى ابن جرير عن ابي نجيح عن مجاهد انها نزلت هي وآيات بعدها في اليهود ، وروي عن ابن عباس في ذلك انه قال في قوله تعالى «وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال » : نهى الله تبارك وتعالى هذه الامة ان يصنعوا صنيعهم اه أي ان يكونوا مثل اليهود في ذلك واذا صح هذا فالمراد به ـ والله أعلم ـ الاعتبار بما جاء في سورة البقرة من قوله (٢: ٢٤٦ ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل ـ الى قوله ـ فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم)

والظاهر ان الآية في جماعة المسلمين وفيهم المنافقون والضعفاء ، ولاشك أن

الاسلام كلفهم مخالفة عادتهم في الغزو والقتال لاجل الثأر، ولاجل الحمية والكسب، وأمرهم بكف أيديهم عن الاعتداء، وأمرهم بالصلاة والزكاة، وناهيك بما فيهما من الرحمة والعطف، حتى خمدت من نفوس أكثرهم تلك الحمية الجاهلية، وحل محلها أشرف العواطف الانسانية، وكان منهم من يتمنى لو يفرض عليهم القتال، ولا يبعد أن يكون عبد الرحمن بن عوف و بعض السابقين رأوا تركه ذلا وطلبوا الاذن به، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا هم الذين أنكروه بعد ذلك خشية من الناس بل ذلك فريق آخر من غير الصادقين، على أنه لما فرض عليهم القتال لما تقدم ذكره من الحكم والاسباب كان كرها للجمهور المسلمين كما سبق بيان ذلك في تفسير (٢: ٢١٦ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) ولكن أهل العزم واليقين أطاعوا وباعوا أنفسهم لله عز وجل فكان الفرق بين قتالهم في الجاهلية وقتالهم في الاسلام عظيما، وأما المنافقون ومرضى القلوب فكانوا قد أنسوا وسكنوا الى ما جاء به الاسلام من ترك القتال وكف الايدي فنال منهم الجبن وأحبوا الحياة الدنيا وكرهوا الموت لاجلها وليس هذا من شأن الايمان الراسخ، فظهر عليهم أثر الخشية والخوف من الاعداء حتى رجحوه على الخشية من الله عز وجل وسهل عليهم مخالفته بالقعود عن القتال وهو يقول (٣: ١٧٥ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) واستنكروا فرض القتال وأحبوا لو تأخر

الى أجل ﴿ وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب ﴾ أي هلا أخرتنا الى أن نموت حتف أنوفنا بأجلنا القريب، هكذا فسره ابن جريج، وقال غيره المراد بالاجل القريب الزمن الذي يقوون فيه ويستعدون للقتال بمثل ما عند أعدائهم، ويحتمل أن لا يكونوا قصدوا اجلا معينا معلوما. وانما ذكروا ذلك محض الهرب والتفصي من القتال كما تقول لمن يرهقك عسرا في أمر: أمهلني قليلا، أنظرني الى أجل قريب، وقد أمر الله نبيه (ص) ان يرد عليهم بقوله

﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ أي ان علة استنكاركم للقتال وطلبكم الإنظار فيه انما هي خشية الموت والرغبة في متاع الدنيا ولذاتها وكل ما يتمتع به في الدنيا فهو قليل

بالنسبة الى متاع الآخرة لانه محدود وفان ﴿ والآخرة خير لمن اتقى ﴾ لان متاعها كثير و باق لانفاد له ولا زوال ، وانما يناله من اتقى الاسباب التي تدنس النفس بالشرك و بالاخلاق الذميمة كالجبن والقعود عن نصر الحق على الباطل ، والخير على الشر ، واذا كانت الآخرة خيرا للمتقين ، فهي شر ووبال على المجرمين ، فحاسبوا انفسكم ، واعلموا انكم مجزيون هنالك على أعمالكم ﴿ ولا تظلمون فتيلا ﴾ أي ولا تنقصون من الجزاء الذي تستحقونه بأثر أعمالكم في انفسكم مقدار فتيل ، وهو ما يكون في شق نواة التمرة مثل الخيط او ما يفتل بالاصابع من الوسخ على الجلد اومن الخيوط، يضرب هذا مثلا في القلة والحقارة .وقيل لاتنقصون ادنى شيء من آجالكم ، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي « يظلمون» على الغيبة لتقدمها والباقون « تظلمون» بالخطاب . ثم جاء بما يذهب بأعذارهم ،وينفخ روح الشجاعة والاقدام في المستعدين منهم ، فقال

﴿ اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ أي ان الموت حتم لا مفر منه ولا مهرب فهو لا بد أن يدرككم في أي مكان كنتم ولو تحصنتم منه في البروج المشيدة ، وهي القصور العالية التي يسكنها الملوك والامراء فيعز الارتقاء اليها بدون إذنهم، اوالحصون المنيعة التي تعتصم فيهاحامية الجند. شيد البناء يشيده علاه وأحكم بناءه ، وأصله ان يبنيه بالشيد وهو بالكسر كل ما يطلى به الحائط كالجص والبلاط ، يقال شاد البناء اذا جصصه ، قال في اللسان : وكل ما أحكم من البناء فقد شيد وتشييد البناء إحكامه ورفعه . أي لان في التفعيل معنى من المبالغة والكثرة في الشيء ، واجاز الراغب ان يكون المراد بالبروج بروج النجم ويكون استعمال لفظ المشيدة فيها على سبيل الاستعارة وتكون الاشارة بالمعنى الى نحو ما قال زهير

ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو نال اسباب السماء بسلم

واذا كان الموت لا مفر منه ولا عاصم ، وكان المرء يخوض المعامع فيصاب ولا يموت، وغيره يخاطر بنفسه فيها مرارا فلا يصاب بجرح ولا يقتل،ثم يموت المتعصم

في البروج والحصون ، واذا كان الاقدام على القتال هو أقوى اسباب النجاة من القتل لان الجبناء يغرون أعداءهم بأنفسهم لعدم دفاعهم عنها ، واذا كان الاستعداد للقتال والاقدام فيه لاجل الدفاع عن الحق وحماية الحقيقة ومنع الباطل أن يسود والشر أن يفشو موجبا لمرضاة الله ولسعادة الآخرة، فما هو عذركم أيها القاعدون المبطئون؟

وطعم الموت في امر حقير　　كطعم الموت في أمر عظيم

فلماذا تختارون لانفسكم الحقير على العظيم ، وهذا ليس من شأن العقلاء ولا من شأن المؤمنين ؟

كان من مرض قلوب هؤلاء ان كرهوا القتال وجبنوا عنه وخافوا الناس وتمنوا بذلك طول البقاء ، فكان هذا صدعا في دينهم وعقولهم قامت به عليهم الحجة . ثم ذكر شأنا آخر من شؤونهم يشبهه في الدلالة على مرض القلب والعقل فقال

﴿ وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ﴾ الحسنة ما يحسن عند صاحبه كالرخاء والخصب والظفر والغنيمة ، كانوا يضيفون الحسنة الى الله تعالى لا بشعور التوحيد الخالص بل غرورا بأنفسهم ، وزعما منهم ان الله أكرمهم بها عناية بهم ، وهربا من الإقرار بأن شيئا من ذلك أثر ما جاءهم به الرسول من الهداية ، وما حاطهم به من التربية والرعاية ، ولذلك كانوا ينسبون اليه السيئة وهو صلى الله عليه وسلم بريء من اسبابها ، دع ايجادها وإيقاعها ، وذلك قولهم ﴿ وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ﴾ والسيئة ما يسوء صاحبه كالشدة والبأساء والضراء والهزيمة والجرح والقتل، كان المنافقون والكفار من اليهود وغيرهم اذا اصاب الناس في المدينة سيئة بعد الهجرة يقولون هذا من شؤم محمد ﴿ قل كل من عند الله ﴾ قل أيها الرسول ان كلا من الحسنة والسيئة من عند الله لوقوعها في ملكه على حسب سننه في نظام الاسباب والمسببات ﴿ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ﴾ أي فما بال هؤلاء القوم وماذا أصاب عقولهم حال كونها بمعزل عن الغوص في أعماق الحديث وفهم مقاصده واسراره فهم لا يعقلون حقيقة حديث يلقونه ولا حقيقة حديث يلقى اليهم قط وانما يأخذون بما يطفو من المعنى على ظاهر اللفظ بادي الرأي ،

والفقه معرفة مراد صاحب الحديث من قوله وحكمته فيه من العلة الباعثة عليه والغائية له . واذا كانوا فقدوا هذا الفقه وحرموه من كل حديث، فأجدر بهم ان يحرموه من حديث يبلغه الرسول عن وحي ربه في حقيقة التوحيد ونظام الاجتماع وسنن الله في الاسباب والمسببات، فهذه المعارف العالية لا تنال الا بفضل الروية وذكاء العقل وطول التدبر، ومن نالها لا يقول بأن سيئة تقع بشؤم أحد، وانما يسند كل شيء الى السبب، أو الى واضع الاسباب والسنن، ولكل مقام مقال .

وفيه أنه يجب على العاقل الرشيد ان يطلب فقه القول دون الظواهر الحرفية فمن اعتاد الاخذ بما يطفو من هذه الظواهر دون ما رسب في أعماق الكلام وما تغلغل في أنحائه وأحنائه يبقى جاهلا غبيا طول عمره

بعد أن بين حقيقة الامر في السيئات والحسنات بالنسبة الى موضوعها وسنن الاجتماع فيها وانها كلها تضاف بهذا الاعتبار الى الله عز وجل أراد ان يبين حقيقة الامر فيها من وجه آخر فقال

﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ قيل ان الخطاب هنا لكل من يتوجه اليه من المكلفين، وقيل للنبي (ص) والمراد به كل من أرسل اليهم، والمعنى مهما يصبك من حسنة فهي من محض فضل الله الذي سخر لك المنافع التي تحسن عندك لا باستحقاق سبق لك عنده والا فبماذا استحققت ان يسخر لك الهواء النقي الذي يطهر دمك ويحفظ حياتك، والماء العذب الذي يمد حياتك وحياة كل الاحياء التي تنتفع بها، وهذه الازواج الكثيرة من نبات الارض وحيواناتها، وغير ذلك من مواد الغذاء، وأسباب الراحة والهناء، ومهما يصبك من سيئة فمن نفسك فانك أوتيت قدرة على العمل واختيارا في تقدير الباعث الفطري عليه من درء المضار وجلب المنافع فصرت تعمل باجتهادك في ترجيح بعض الاسباب والمقاصد على بعض فتخطئ فتقع فيما يسوءك، فلا أنت تسير على سنن الفطرة وتتحرى جادتها، ولا أنت تحيط علما بالسنن والاسباب وضبط الهوى والارادة في اختيار الحسن منها، وانما ترجح بعضها على بعض في حين دون حين بالهوى

أو قبل المعرفة التامة بالنافع والضار منها فتقع فيما يسوءك ولولا ذلك لما علمت السيئات

وجملة القول ان هنا حقيقتين متفقتين (إحداهما) ان كل شيء من عند الله بمعنى انه خالق الاشياء التي هي مواد المنافع والمضار وانه واضع النظام والسنن لاسباب الوصول الى هذه الاشياء بسعي الانسان وكل شيء حسن بهذا الاعتبار، لأنه مظهر الإبداع والنظام ، (والثانية) ان الانسان لايقع في شيء يسوءه الا بتقصير منه في استبانة الاسباب وتعرف السنن ، فالسوء معنى يعرض للاشياء بتصرف الإنسان وباعتبار انها تسوءه وليس ذاتيا لها ولذلك يسند الى الانسان

مثال ذلك المرض فهو من الامور التي تسوء الانسان وهو انما يصيبه بتقصيره في السير على سنة الفطرة في الغذاء والعمل فيجيء من تخمة قادته اليها الشهوة، أومن إفراط في التعب أو في الراحة ، أومن عدم اتقاء أسباب الضرر كتعريض نفسه للبرد القارس أو الحر الشديد ، وقس على ذلك غيره من أسباب الامراض التي ترجع كلها الى الجهل بالاسباب وسوء الاختيار في الترجيح . والامراض الموروثة من جناية الانسان على الانسان أيضا لا من أصل الفطرة والطبيعة التي هي من محض خلق الله دون اختيار الانسان لنفسه ، فوالداه يجنيان عليه بسوء اختيارهما لانفسهما كما يجنيان عليه بتعريضه للمرض في صغره بعدم وقايته من أسبابه ، في الوقت الذي يكون اختيارهما له قائما مقام اختياره لنفسه ،

واضرب لهم مثلا خاصا غزوة أحد أصابت المسلمين فيها سيئة كان سببها تقصيرهم في الوقوف عند أسباب الفوز والظفر بعصيان قائد عسكرهم ورسولهم (ص) وترك الرماة منهم موقعهم الذي أقامهم فيه للنضال وكان ذلك لخطإ في الاجتهاد سببه الطمع في الغنيمة كما تقدم في تفسير سورة آل عمران من الجزء الرابع

(فان قيل) ان جميع الاشياء حسنها وسيئها تسند الى الله عز وجل ويقال انها من عنده بمعنى انه هو الخالق لموادها والواضع لسنن الاسباب والمسببات فيها ، ويسند الى الانسان منها كل ما له فيه كسب وعمل اختياري سواء كان من الحسنات أو السيئات ، وقد مضى بهذا عرف الناس وأيدته نصوص الكتاب والسنة بمثل قوله تعالى (٦ : ١٦٠ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى

الامثلها وهم لا يظلمون) . فلماذا جعل هنا إصابة الحسنة من فضل الله تعالى مطلقا وإصابة السيئة من نفس الانسان مطلقا ؟

(فالجواب عن هذا) أن ما ذكر في السؤال حق وما في الآية حق ولكل مقام مقال، والمقام الذي سيقت الآية له هو بيان أمرين (أحدهما) نفي الشؤم والتطير وإبطالها ليعلم الناس ان ما يصيبهم من السيئات لا يصيبهم بشؤم أحد يكون فيهم ، وكانوا يتشاءمون ويتطيرون في الجاهلية ولا يزال التطير والتشاؤم فاشيا في الجاهلين من جميع الشعوب وهو من الخرافات التي يردها العقل وقد ابطلها دين الفطرة . قال تعالى في آل فرعون (٧ : ١٣٠ فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ، ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون) فقد جعل التطير من الجهل وفقد العلم بالحقائق

(ثانيهما) انه ينبغي لمن أصابته سيئة ان يبحث عن سببها من نفسه ولا يكتفي بعدم اسنادها الى شؤم غيره ممن ليس له فيها عمل ولا كسب لان السيئة تصيب الانسان بما تقدم شرحه آنفا من تقصيره وخروجه بجهله أو هواه عن سنة الله في التماس المنفعة من ابوابها ، واتقاء المضار باتقاء اسبابها ، لان الاصل في نظام الفطرة البشرية هو مايجده الانسان في نفسه من ترجيح الخير لها على الشر، والنفع على الضر ، وان كل قوة من قواه نافعة له اذا احسن استعمالها ، وليس في أصل الفطرة سيئة قط ، وانما يقع في الضرر بسوء الاستعمال وطلب لا ما تقتضيه الفطرة لولاجناية الانسان عليها باجتهاده ، كالافراط في اللذات والتعب تنفر منه الفطرة فيحتال الانسان عليها ويحملها ما لا تحمله بطبعها لولا ظلمه لها كاستعماله الادوية لاثارة شهوة الطعام والوقاع وعدم وقوفه فيهما عندحد الداعية الطبيعية كأن لا يأكل الا اذا جاع من نفسه ولا يملأ بطنه من الطعام بما يحمله على ذلك من الادوية المقوية والتوابل المحرضة

لب ' هذه الحقيقة الثانية التي علمنا الله إياها وربانا بها هو ان سننه تعالى في فطرة الانسان ، كسننه في فطرة سائر الحيوان والنبات ، « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » كلها مصادر للحسنات ، ليس فيها شيء سيء بطبعه ، ولكن الانسان فضل

على غيره بما أوتي من الاستعداد للعلم، ومن الارادة والاختيار في العمل، فاذا أحكم العلم واحسن الاختيار مهتديا بسنن الفطرة وأحكام الشريعة وهي كلها من عند الله ومن محض فضله ورحمته كان غارقا في الحسنات والخيرات واذا قصر في العلم وأساء الاختيار في استعمال قواه واعضائه في غير ما يقتضيه نظام الفطرة وحاجة الطبيعة وقع في الامور التي تسوءه، فيجب عليه أن يرجع على نفسه بالمحاسبة والمعاتبة كلما أصابته سيئة، ليعتبر بها ويزداد علما وكالا ، فهذه الآية أصل من أصول علم الاجتماع وعلم النفس فيها شفاء للناس من أوهام الوثنية وتثبيت في مقام الانسانية

ثم قال تعالى ﴿ وارسلناك للناس رسولا ﴾ وما على الرسول الا البلاغ المبين وأما الحسنات والسيئات فهي من الله عز وجل خلقا لموادها واسبابها وتقديرا لتلك الاسباب بجعلها على قدر المسببات ، ومنها ان للانسان عملا في هذه الاسباب فان احسن واصاب كانت له الحسنة بفضل الله في ذلك وان أخطأ وأساء كانت له السيئة بخروجه عن تلك السنن وتقصيره تلك الاسباب ، وليس للرسول دخل فيما يصيب الناس من الحسنات والسيئات لانه أرسل للتبليغ والهداية لا للتصرف في نظام الكون وتحويل سنن الاجتماع أو تبديلها (ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا) فزعم أولئك الجاهلين ان السيئة تصيبهم من عنده او بسببه ، وما تخيلوا من شؤمه ، لا حجة عليه من العقل ، وهو مخالف لما بين من وظيفة الرسول في النقل ،

﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ على صحة رسالتك للناس كافة بتأييدك بآياته، وتصديقك فيما أنذرت به المعرضين ، و بشرت به المؤمنين ، أو شهيدا بأنك لم ترسل الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، لا مسيطرا عليهم ولا جبارهم، ولا مغيرا لنظام الاجتماع فيهم، وقيل ان المراد بالشهادة هنا الشهادة على أولئك الذين قالوا تلك الاقوال المنكرة

تقدم القول بأن هذه الآيات كلها من قوله « ألم تر » الى هنا نزلت في اليهود ، والقول بأن الذي نزل فيهم هو قوله « وان تصبهم حسنة » وما بعده الى هنا . كان يقول هذا يهود المدينة بعد أن هاجر النبي (ص) اليها . وقيل انها نزلت

في المنافقين وهو يؤيد كون السياق فيهم ، وفي مرضى القلوب الذين على مقربة منهم ، لا في ضعفاء الايمان خاصة كما اختار الاستاذ الامام ، وله رحمه الله تعالى مقال في تفسير هاتين الآيتين وكان قد سئل عنها فأجاب ونشرنا جوابه في المجلد الثالث من المنار (ص١٥٧) ، ويحسن أن نضمه هنا فهو موضعه وهو :

« كان بعض القوم بطرا جاهلا اذا أصابه خير ونعمة يقول ان الله تعالى قد أكرمه بما أعطاه من ذلك وأصدره من لدنه وساقه اليه من خزائن فضله عناية منه به لعلوّ منزلته واذا وصل اليه شر وهو المراد من السيئة يزعم أن منبع هذا الشر هو النبي صلى الله عليه وسلم وأن شؤم وجوده هو ينبوع هذه السيئات والشرور. فهؤلاء الجاهلون الذين كانوا يرون الخير والشر والحسنة والسيئة يتناوبانهم قبل ظهور النبي وبعده كانوا يفرقون بينهما في السبب الاول لكل منهما فينسبون الخير أو الحسنة الى الله تعالى على أنه مصدرها الاول ومعطيها الحقيقي يشيرون بذلك الى أنه لايد للنبي فيه وينسبون الشر أو السيئة الى النبي على أنه مصدرها الاول ومنبعها الحقيقي كذلك وأن شؤمه هو الذي رماهم بها وهذا هو معنى « من عند الله » أو « من عندك » أي من لدنه ومن خزائن عطائه ومن لدنك ومن رزاياك التي ترمي بها الناس . فرد الله عليهم هذه المزاعم بقوله « قل كل من عند الله » أي أن السبب الاول وواضع أسباب الخير والشر المنعم بالنعم والرامي بالنقم انما هو الله وحده وليس ليمن ولا لشؤم مدخل في ذلك فهو بيان للفاعل الاول الذي يرد اليه الفعل فيما لاتتناوله قدرة البشر ولا يقع عليه كسبهم وهو الذي كان يعنيه أولئك المشاقون عند مايقولون الحسنة من الله والسيئة من محمد أي أنه لادخل لاختيارهم في الاولى ولا في الثانية وأن الاولى من عناية الله بهم والثانية من شؤم محمد عليهم فجاءت الآية ترميهم بالجهل فيما زعموا ولو عقلوا لعلموا ان ليس لاحد فيما وراء الاسباب المعروفة فعل ، الخيرُ والشرُّ في ذلك سواء

«هذا فيما يتعلق بمن بيده الامر الاعلى في الخير والشر والنعم والنقم أما مايتعلق بسنة الله في طريق كسب الخير والتوقي من الشر والتمسك بأسباب ذلك فالامر على خلاف مايزعمون كذلك فان الله سبحانه وتعالى قد وهبنا من العقل والقوى

مايكفينا في توفير أسباب سعادتنا والبعد عن مساقط الشقاء فاذا نحن استعملنا تلك المواهب فيما وهبت لاجله وصرفنا حواسنا وعقولنا في الوجوه التي تنال منها الخير وذلك انما يكون بتصحيح الفكر واخضاع جميع قوانا لاحكامه وفهم شرائع الله حق الفهم والتزام ماحدده فيها فلا ريب في أننا نتال الخير والسعادة، ونبعد عن الشقاء والتعاسة، وهذه النعم انما يكون مصدرها تلك المواهب الإلهية فهي من الله تعالى فما أصابك من حسنة فمن الله لان قواك التي كسبت بها الخير واستغزرت بها الحسنات بل واستعمالك لتلك القوى انما هو من الله لانك لم تأت بشيء سوى استعمال ماوهب الله فاتصال الحسنة بالله ظاهر، ولا يفصلها عنه فاصل لاظاهر ولا باطن.

وأما اذا أسأنا التصرف في أعمالنا وفرطنا في النظر في شؤوننا وأهملنا العقل وانصرفنا عن سر ما أودع الله في شرائعه وغفلنا عن فهمه فاتبعنا الهوى في أفعالنا وجلبنا بذلك الشر على أنفسنا كان ماأصابنا من ذلك صادرا عن سوء اختيارنا وان كان الله تعالى هو الذي يسوقه الينا جزاء على مافرطنا، ولا يجوز لنا أن ننسب ذلك الى شؤم أحد أو تصرفه. ونسبة الشر والسيئات الينا في هذه الحالة ظاهرة الصحة فأما المواهب الإلهية بطبيعتها فهي متصلة بالخير والحسنات وانما يبطل أثرها اهمالها أو سوء استعمالها، وعن كلا الامرين يساق الشر الى أهله وهما من كسب المهملين وسيئ الاستعمال فحق أن ينسب اليهم ماأصيبوا به وهم الكاسبون لسببه فقد حالوا بكسبهم بين القوى التي غرزها الله فيهم لتؤدي الى الخير والسعادة وبين ماحقها أن تؤدي اليه من ذلك وبعدوا بها عن حكمة الله فيها وصاروا بها الى ضد ماخلقت لاجله فكل مايحدث بسبب هذا الكسب الجديد فأجدر به أن لاينسب الا الى كاسبه

«وحاصل الكلام في المقامين أنه اذا نظر الى السبب الاول الذي يعطي ويمنع ويمنح ويسلب وينعم وينتقم فذلك هو الله وحده ولايجوز أن يقال ان سواه يقدر على ذلك ومن زعم غير هذا فهو لا يكاد يفقه كلاما لان نسبة الخير الى الله ونسبة

الشر الى شخص من الاشخاص بهذا المعنى مما لا يكاد يعقل فان الذي يأتي بالخير ويقدر على سوقه هو الذي يأتي بالشر ويقدر عليه فالتفريق ضرب من الخبل في العقل

«واذا نظرنا الى الاسباب المسنونة التي دعا الله الخلق الى استعمالها ليكونوا سعداء ولا يكونوا أشقياء فمن أصابته نعمة بحسن استعماله لما وهب الله فذلك من فضل الله لانه أحسن استعماله الآلات التي منّ الله عليه بها فعليه أن يحمد الله و يشكره على ما آتاه ومن فرط أو أفرط في استعمال شيء من ذلك فلا يلومن الا نفسه فهو الذي أساء اليها بسوء استعماله ما لديه من المواهب وليس بسائغ له أن ينسب شيئا من ذلك الى النبي ولا الى غيره فان النبي أو سواه لم يغلبه على اختياره ولم يقهره على إتيان ما كان سببا في الانتقام منه

«فلو عقل هؤلاء القوم لحمدوا الله وحمدوك (يا محمد) على ما ينالون من خير فان الله هو مانحهم ما وصلوا به الى الخير وانت داعيهم لالتزام شرائع الله وفي التزامها سعادتهم . ثم اذا أصابهم شر كان عليهم أن يرجعوا باللائمة على أنفسهم لتقصيرهم في أعمالهم أو خروجهم عن حدود الله فعند ذلك يعلمون أن الله قد انتقم منهم للتقصير أو العصيان فيؤدبون أنفسهم ليخرجوا من نقمته الى نعمته لان الكل من عنده وانما ينعم على من أحسن الاختيار ويسلب نعمته عمن أساء

« وقد تضافرت الآثار على أن طاعة الله من أسباب النعم، وان عصيانه من مجالب النقم، وطاعة الله انما تكون باتباع سننه، وصرف ما وهب من الوسائل فيما وهب لأجله

«ولهذا النوع من التعبير نظائر في عرف التخاطب فانك لو كنت فقيرا واعطاك والدك مثلا رأس مال فاشتغلت بتنميته والاستفادة منه مع حسن في التصرف وقصد في الانفاق وصرت بذلك غنيا فانه يحق لك أن تقول ان غناك انما كان من ذلك الذي أعطاك رأس المال وأعدك به للغنى . أما لو أسأت التصرف فيه وأخذت تنفق منه فيما لا يرضاه واطلع على ذلك منك فاسترد ما بقي منه وحرمك نعمة التمتع به فلا ريب أن يقال ان سبب ذلك انما هو نفسك وسوء اختيارها مع أن المعطي

والمستمد في الحالين واحد وهو والدك غير أن الامر ينسب الى مصدره الاول اذا انتهى على حسب ما يريد وينسب الى السبب القريب اذا جاء على غير ما يحب لان تحويل الوسائل عن الطريق التي كان ينبغي أن تجري فيها الى مقاصدها انما ينسب الى من حولها وعدل بها عما كان يجب ان تسير اليه

«وهناك للآية معنى أدق، يشعر به ذو وجدان أرق، مما يجده الغافلون من سائر الخلق ، وهو أن ما وجدت من فرح ومسرة وما تمتعت به من لذة حسية أو عقلية فهو الخير الذي ساقه الله اليك واختاره لك وماخلقت الا لتكون سعيدا بما وهبك . أما ما تجده من حزن وكدر فهو من نفسك ، ولو نفذت بصيرتك الى سر الحكمة فيما سيق اليك لفرحت بالمحزن فرحك بالسار وانما أنت بقصر نظرك تحب أن تختار ما لم يختره لك العليم بك المدبر لشأنك ولو نظرت الى العالم نظرة من يعرفه حق المعرفة واخذته كما هو وعلى ما هو عليه لكانت المصائب لديك بمنزلة التوابل الحريفة (١) يضيفها طاهيك (٢) على ما يهيئ لك من طعام لتزيده حسن طعم وتشحذ منك الاشتهاء لاستيفاء اللذة واستحسنت بذلك كل ما اختاره الله لك ولا يمنعك ذلك من التزام حدوده والتعرض لنعمه والتحول عن مصاب نقمه فان اللذة التي تجدها في النقمة انما هي لذة التأديب ، ومتاع التعليم والتهذيب ، وهو متاع تجتنى فائدته ، ولا تلتزم طريقته ، فكما يسر طالب الادب أن يتحمل المشقة في تحصيله وأن يلتذ بما يلاقيه من تعب فيه ، يسره كذلك أن يرتقي فوق ذلك المقام الى مستوى يجد نفسه فيه متمتعا بما حصل ، بالغا ما أمل ، وفي هذا كفاية لمن يريد ان يكتفي » اه

---

(١) هي ما يطيب به الطعام كالفلفل واحدها تابل بفتح الباء وكسرها (٢) الطاهي الطباخ

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ السموات السبع . وكون الاختلاف رحمة ﴾

(س ٢٧ و٢٨) من م . ب . ع . في الازهر

حضرة العلامة الناصر للكتاب والسنة سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر نفع الله والمسلمين بوجوده

بعد اهداء واجبات التحية والاحترام أرجو منكم الجواب عن الاسئلة الآتية في المنار تعميما للنفع ولكم الفضل والشكر وهي .

(١) ما معنى سبع سموات طباقا في قوله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) وما قولكم في قول أهل الجغرافيا : ان السموات ليست بأجرام وانما هي أهوية وفسروا السماء بمعناها اللغوي وهو « كل ما علاك فهو سماء » فهل هذا القول ينافي تلك الآية وآية (أولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) أم لا ؟ وقولهم : ان الامطار تتكون من ماء البحار . وهل يجوز لهم ولمن تبعهم اعتقاد ذلك كله اعتمادا على علمهم وخبرتهم ؟ افيدوني بما هو الحق وان سبق لكم البحث عن هذه المسألة في المنار لانها منشأ لتكفير من يجرأ به معتقد ذلك .

(٢) ما مراد قوله صلى الله عليه وسلم (اختلاف أمتي رحمة) عن ابن عباس مرفوعا بلفظ (اختلاف أصحابي لكم رحمة) فهل لي أن أقول ان في اختلاف امته (ص) رحمة انما هو اختلافها قبل مجيء البينة أو لعدم وجودها أصلا وان وجدت

كان اختلافها ضررا لا رحمة وكذا يجوز الاختلاف بين المسلمين قبل مجيء البينة وان اختلفوا بعد مجيئها وتبينها كانوا آثمين تاركين لهداية القرآن لقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاء هم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) هذا واقبلوا فائق سلامي واحترامي .

(المنار) أما الجواب عن السؤال الاول فقد سبق بيانه في المنار ، ونقول فيه ما يفتح به الآن : السماء في اللغة ما كان في جهة العلو وأطلق في القرآن على السقف وعلى السحاب والمطر وعلى مجموع ما نرى فوقنا من الكواكب في فلكها وبروجها ، وسماها بناء وقال بناها ، وبنيناها ، والمعنى ترتيب أجزائها وتسويتها كما يبنى الجيش والكلام ، قال في الاساس وكل شيء صنعته فقد بنيته . وأشار أن منها القربى التي تتمتع أبصارنا بزينتها ومنها البعدى التي لا نراها . وهو يذكر السماء بلفظ المفرد غالباً بالمعنى الذي ذكرناه آنفا وهو مجموع ما نراه في الافق فوقنا . وذكرها بلفظ الجمع وخصه بسبع في عدة آيات ، فالمراد بالجمع ، هذه السبع ، وعبر عنها بالطباق كما في آية سورة الملك المذكورة في السؤال ، وبالطرائق فقال في أوائل سورة المؤمنين (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) وسمى هذه الطرائق حبكا على التشبيه فقال في أوائل سورة الذاريات (والسماء ذات الحبك) وهي الطرائق المعهودة في الرمل ، فالسبع الشداد والطباق والطرائق والحبك تنبئ عن شيء واحد معروف عند العرب الذين نزل القرآن بلسانهم ، وقد سمى هذه السبع سموات لان كل واحدة منها تعلو المخاطبين ويصعدون اليها نظرهم من فوق ، ووصف بها السماء المفردة في آية سورة المؤمنين لان جهة العلو أو الخليقة التي في جهة العلو تشتمل عليها ، كما قال (والسماء ذات البروج) وقال (والسماء ذات الرجع) والبروج منازل الكواكب وهي بهذا المعنى أمور اعتبارية كالحبك والطرائق ، والرجع المطر وهو جسم مادي . يختلف التعبير باختلاف الاعتبار ،

ذهب بعض الغافلين الذين يظنون ان الله تعالى خاطب الناس بما لا يفهمون ، وأقام عليهم الحجة العقلية بما لا يعقلون ، إلى ان السماء والسموات من عالم الغيب كالجنة والنار فلا تعرف حقيقتها وانما يجب الايمان بها إذ اعلمنا لخبر الوحي ، ولو كان الامر كذلك لما ذكرت في الآيات التي يقيم الله بها حجته على عباده ليعلموا انه الخالق المتفرد بالخلق والابداع ، والعلم المحيط ، والحكمة البالغة ، والقدرة والمشيئة ، كما استدل على ذلك بالارض وما فيها ، فقرن السماء بالارض وبالابل والجبال وغير ذلك من عوالم الارض

السماء اسم جنس يطلق على جهة العلو وعلى كل ما فيها والقرآن هي التي تعين

المراد فاذا سمع العربي قوله تعالى في سورة الحج (من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ) فهم ان السماء هو سقف البيت لانه هو الذي يمد السبب أي الحبل اليه ويعلق ويربط به من يراد شنقه ثم يقطع .

واذا سمع قوله تعالى في سورة نوح (يرسل السماء عليكم مدرارا) فهم ان المراد بالسماء المطر ، وهذا الاستعمال كثير في كلامهم * اذا نزل السماء بارض قوم * واذا سمع قوله في سورة ابرهيم يصف الشجرة (أصلها ثابت وفرعها في السماء) فهم أن السماء جهة العلو . واذا سمع قوله (انزل من السماء ماء) فهم ان السماء هي السحاب ، لا لأن الله تعالى وضح ذلك بقوله في وصف تكون السحاب (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) أي فترى المطر يخرج من اثناء هذا السحاب بتحلله منه ، بل لأن ذلك هو الذي يفهمه أهل اللغة من علم منهم بهذه الآية ومن لم يعلم .

ومن قال من الجاحدين كما حكى الله عنهم « فامطر علينا حجارة من السماء » « فأسقط علينا كسفا من السماء » لم يكونوا يعنون بالسماء عالما غيبيا لا يعرف الا بالوحي وانما كانوا يعنون بالسماء الجو الذي فوقهم

ذكرت السماء في أكثر من مئة موضع في القرآن بهذه المعاني ولم يشتبه أحد من العرب في فهم شيء منها لامؤمنهم ولا كافرهم . ولم يفهموا من السموات السبع والطرائق والحبك والطباق الا الكواكب السبع السيارة ومداراتها في أفلاكها التي تشبه طرق الرمل يسلكها السفر في الموامي والبوادي ، وخصها بالذكر لكثرة رصدهم لها واهتدائهم بمشارقها ومغاربها في أسفارهم ، هذا ما كانوا يعرفونه ومايتبادر الى أفهامهم من إطلاق القول ، ولو أريد به عالم غيبي لايرى ولا يعرف الا من الوحي لما ذكر في سياق الاستدلال كما تقدم ولما قال في سورة الرعد (خلق السموات بغير عمد ترونها) وما في معناها كقوله في سورة ق (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) بل كان يذكر ذلك في سياق الايمان بالغيب والكلام عن الآخرة .

وكانوا يسمون السبعة السيارة الدراري بالهمز وقالوا كوكب دُرّيّ بالهمز فيقال بغير همز . وقيل غير المهموز نسبة الى الدر يشبهونه باللؤلؤ في حسنه وصفائه وفيه نزاع . والدريء بالهمز هو الذي يدرأ من المشرق الى المغرب وهو مضيه ومده . ويسمونها الشهب . وأما الخنس الكنس فالمشهور أنها ما عدا الشمس والقمر من

الدراوي لانها هي تخنس أي تنقبض وتكنس وتختفي كاختفاء الظبي في الكناس عند طلوع الشمس . وهي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. وقد اكتشف علماء الفلك في هذا العصر سيارات أخرى بما استحدثوا من مرايا المراصد المقربة للبعيد . وقال بعض الغافلين لماذا ذكر الله تعالى تلك السيارات السبع فقط وهو يعلم أنه خلق غيرها ؟ وقد علمت حكمة ذلك مما تقدم وهي إقامة الحجة على الناس بما يعرفون دون ما كانوا يجهلون ، فان المجهول لا تقوم به الحجة ، وقد يكون لقوم فتنة وفي الحديث « ما انت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » ذكره مسلم في مقدمة صحيحه

﴿ حديث اختلاف امتي رحمة ﴾

قال الحافظ السخاوي زعم كثير من الائمة انه لا أصل له لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطرداً واشعر بان له أصلا عنده . ونقل تلميذه الديبع عن السيوطي أن نصر المقدسي ذكره في الحجة والبيهقي في الرسالة الاشعرية بغير سند وان الحليمي والقاضي حسينا وامام الحرمين ذكروه في كتبهم .

وقال ابن حجر الهيتمي في الدرر المنتثرة : حديث « اختلاف أمتي رحمة » الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة مرفوعا والبيهقي في المدخل عن القاسم بن محمد (من) قوله وعن عمر بن عبد العزيز قال : ما سرني لو ان أصحاب محمد لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة (قلت) هذا يدل على ان المراد اختلافهم في الاحكام وقيل المراد اختلافهم في الحرف والصنائع (كذا) ذكره جماعة. وفي مسند الفردوس من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « اختلاف أصحابي رحمة لكم » قال ابن سعد في طبقاته حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا أفلح بن حميد عن القاسم بن محمد قال كان اختلاف اصحاب محمد رحمة للناس انتهى

(المنار) ما عزاه السخاوي الى كثير من الائمة هو الصواب وكثير امثال المتأخرين يضعفون ويحبنون أمام ما يجدونه في كتب بعض المتقدمين مما لا يعرف له أصل فيهابون أن يردوه عملا بالاصول والقواعد المتفق عليها في رد كل حديث لا يعرف له سند يوثق به . وهذا البيهقي يقول ان القاسم بن محمد ذكره من قوله فما يدرينا ان بعض الناس سمعه منه فظن انه يرويه حديثا فرواه عنه فكان هذا سبب ذكره في الكتب التي ذكروا أصحابها ؟

وأما رواية الديلمي في مسند الفردوس عن جويبر عن الضحاك فلا تصح قال ابن معين في جويبر هذا ليس بشيء ، وقال الجوزجاني لا يشتغل به وقال النسائي والدارقطني وغيرهما متروك الحديث . وشيخه الضحاك هو ابن مزاحم البلخي المفسر فقد اختلفوا في حديثه ولكنهم صرحوا بأنه لم يلق ابن عباس ولا أخذ عنه فيكون الحديث منقطعا

وأما ماعزي الى عمر بن عبد العزيز فهو لاحجة فيه صح عنه أولم يصح ، على ان الظاهر انه يريد اختلافهم فيما لابد من الخلاف فيه لكونه طبيعيا وهو الخلاف في المشارب والعمل بالدين من الاخذ بالعزائم والرخص فلو كانوا كلهم متشددين مبالغين في الزهد والنسك كأبي ذر وفي العبادة وكبح الحظوظ والشهوات كعثمان بن مظعون وعبد الله ابن عمرو لوقعت هذه الامة في الغلو والحرج الذي وقع فيه بعض الاحبار والرهبان من أهل الكتاب من قبل ، ولو كانوا كلهم كمعاوية وعمرو بن العاص في حب النعيم والزينة والرياسة لكان ذلك فتنة لمن بعدهم في الدنيا يسرفون بها او ترك الدين أو يجعلونه ماديا محضا لان القدوة أشد تأثيراً في نفوس البشر من التعاليم القولية

استكبر بعض العلماء ان يجعل الاختلاف في الدين أو في الامارة والسلطان رحمة ، وقد ثبت بالشرع والعقل والتجربة انه نقمة لاتزيد عليها نقمة ، ولذلك قالوا ان المراد بالحديث - أي على فرض صحته - الاختلاف في الحرف والصناعات ، ولهم ان يستكبروا ذلك فان القرآن ماشدد في شيء كما شدد في الشرك وفي الاختلاف والتفرق ، والآيات في هذا كثيرة تقدم تفسير بعضها وسرد الكثير منها في التفسير وغير التفسير من المنار فليراجعه السائل في تفسير آية « تلك الرسل » من أول الجزء الثالث ، وتفسير « ولا تكونوا كالذين تفرقوا » من الجزء الرابع ، ومظانه من المنار

كان أهون الاختلاف اختلاف الصحابة وغيرهم من السلف في فهم الاحكام مع عذر كل منهم لمخالفه بحيث لم يكونوا شيعا تفرق في الدين ، وتعصب كل شيعة منها لبعض المختلفين ، فان مثل هذا الاختلاف طبيعي في البشر لايمكن اتقاؤه كما بيناه في التفسير وهو من أولئك الاخيار لم يكن نقمة ولا ضارا ، ولا يظهر ايضا كونه رحمة من الشارع بها على الناس ، ولكن لما جاء دور التقليد والتشيع والتعصب للمذاهب حلت النقمة ، وتفرقت الكلمة ، وذهبت الريح والشوكة ، الى أن وصلنا الى هذه الدرجة من الضعف . ذهب ملكنا وصارت المملكة الكبيرة من ممالكنا تقع في قبضة الاجانب فلا يبالي بهم سائر المسلمين ، فأين الوحدة والاخوة والتواد والتراحم وتمثيل مجموعهم بالجسد الواحد ؟؟ كل ذلك قد زال وكان مبدأ زواله ذلك الاختلاف

﴿ أسئلة من أعرابي بالشرقية ﴾

(س ٢٩ ـ ٣١) من صاحب الامضاء في مركز أبو كبير بالشرقية

حضرة الاستاذ الكبير السيد رشيد رضا المحترم

نرجو من حضرتكم الاجابة على المسائل الآتية بواسطة منار الاسلام المنير ولكم الفضل وهي

(١) اذا أصيب رجل بالجنون وكان متزوجاً فبأي عدة تعتد زوجته

(٢) اصحيح ما يقال من ان لكل ولي متوفى ملك (كذا) ينوب عنه لقضاء الحاجات التي يطلبونها الناس من الله بواسطة الولي كما يقولون علماء الارياف بذلك

(٣) من ابتدع الصاري الذي يذكرون الله حوله أهل الطرق وهل يجوز لهم الذكر برقص وتثن وتواجد وزعيق وترجمة يسمونها بلسان الحال. ودمتم محفوظين م

انور محمد قريط
من قبيلة أولاد علي بناحية فراشه

الجواب

﴿ زوجة المجنون ﴾

اذا جن الرجل تبقى امرأته على عصمته ولكن يثبت لكل من الزوجين حق الفسخ اذا جن الآخر . والعدة تتعلق بمعنى في المرأة لا في الزواج الا انها في الوفاة يجب عليها ان تحد على زوجها فجعل أجل العدة والحداد واحداً إكباراً لحقوق الزوج والوفاء له. فاذا فسخ نكاح المجنون اعتدت امرأته عدة المطلقة

﴿ دعوى ان لكل ولي ميت ملكا يقضي الحاجات عنه ﴾

من أصول التوحيد ان يدعى الله تعالى وحده في قضاء الحاجات وان يعتقد انه هو الذي يقضيها وحده بلا واسطة معين ولا مساعد ، وان له تعالى سننا في ربط الاسباب بالمسببات، وقد هدى الله الناس الى ان يعرفوا هذه الاسباب بحواسهم وعقولهم

فأعرفهم بها أكثرهم انتفاعاً بنعم الله تعالى في هذا العالم، ومن أصول العقائدان الملائكة من عالم الغيب وان الله تعالى لا يظهر على غيبه أحداً الامن ارتضاه من رسله فيخبرهم بما شاء من نبأ الغيب لهداية عباده كالملائكة والجنة والنار ، ولا يجوز لمؤمن ان يفتات على الله ورسوله في الخبر عن عالم الغيب فيقول إنه يوجد ملك يعمل كذا وملك يعمل كذا لان هذا من أقبح الكذب على الله عز وجل . ونحن لم نجد في كتاب الله ولا في الاحاديث الصحيحة عن رسوله (ص) ما يثبت وجود ذلك الملك الذي يقولون انه يقضي حاجات الناس التي يسألونها بواسطة الولي على أن هذا السؤال غير مشروع كما اشرنا الى ذلك (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها ومابطن والاثم والبغي بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على اللهمالا تعلمون)

﴿ ابتداع الصاري الذي يذكرون عنده ﴾

لا نعرف من ابتدع نصب هذا العمود أو السارية ليجتمع الناس عندها في احتفالات هذه الموالد ولا أعرف مثل هذا الا في هذه البلاد ولا أدري أيوجد فيما لا أعرفه من بلاد المسلمين الاخرى أم لا

﴿ الذكر بالرقص والتثني والتواجد والصياح ﴾

الذكر بهذه الكيفية مبتدع في الملة وفيه عدة منكرات بينها كثير من العلماء وقد عذر بعضهم من يغلبه حاله من الافراد فيصدر منه بعض هذه المنكرات بغير اختيار ولكنهم لم يعذروا من يتعمدون الاجتماع لذلك ويأتونه مختارين تعبدا به كما هو المعهود لهؤلاء المقلدة المعروفين في هذا الزمان وقد فصلت هذه المسألة تفصيلا في كتابي «الحكمة الشرعية » وذكرت فيها أقوال المؤلفين المنتسبين الى المذاهب المختلفة ،ولم يقل أحد من العلماء بأن ذلك من الدين ، ولا أنه قربة يتقرب بها الى رب العالمين ، وإنما اباحه بعض المتساهلين ، ومن الفتاوى التي ذكرتها هنالك ما في تنقيح الحامدية لابن عابدين المشهور ، قال بعد نقول عن عدة من العلماء في تلك الامور كلها (منها قول مصلح الدين اللاري بإباحة الرقص بشرط عدم التكسر والتثني) ما نصه : والحق الذي هو أحق ان يتبع ، وأحرى أن يدان له ويستمع ، ان ذلك كله من سيئات البدع، حيث لم ينقل فعله عن السلف الصالحين ، ولم يقل بحله أحد من الائمة المجتهدين، رضي الله عنهم اجمعين ، قال الاستاذ السهروردي في عوارف المعارف وناهيك به من

كتاب ، وقد تكلم على السماع في خمسة ابواب منه بما هو حق التحقيق ولب الالباب:
وإن أنصف المنصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان ، وقعود المغني بدفه ، والمتشبب
بشبابته ، وتصور في نفسه هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه ، وهل استحضروا قوالا وقعدوا مجتمعين لاستماعه ، لا شك
بأن ينكر ذلك من حال رسول الله (ص) وأصحابه (رض) ولو كان في ذلك فضيلة
تطلب ما اهملوها ، فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة احوال
رسول الله (ص) واصحابه والتابعين ، ويستروح الى استحسان بعض المتأخرين ،
وكثير يغلط الناس بهذا كلما احتجّ عليهم بالسلف الماضين، يحتج بالمتأخرين، فكان
السلف أقرب الى عهد رسول الله (ص) وهديهم اشبه بهدي النبي (ص) اه وهو
الصواب الذي نقول به (راجع ص ٩٢٦ من المجلد الاول طبعة ثانية)

﴿ العالم الاسلامي والاستعمار الاوربي ﴾

(١)

الدول الاوربية التي ورثت ملك المسلمين الواسع في المشرق والمغرب أربع :
انكلترا وهولندة وروسية وفرنسة . كل دولة منهن سائدة على أكثر مما تسود عليه
الدولة العثمانية من المسلمين . فمسلمو الهند من رعية الانكليز قد بلغوا في الاحصاء
الاخير تسعين مليونا وهم زهاء ثلث أهل الهند وكان لهم السيادة على جماهير الوثنين، وهؤلاء
الانكليز يسودون الملايين الكثيرة من المسلمين وغيرهم بأسماء مختلفة فلهم مستعمرة الكاب
و بلاد الترنسفال وفيهما كثير من المسلمين وقد جعلوا لهذه مجلسا نيابيا، ومثلها استرالية
وزيلاندة فسيادتهم عليها ليست كسيادتهم على مملكة زنجبار الاسلامية، وناهيك بحكمهم
السودان بعنوان الشركة مع الحكومة المصرية، وتصرفهم في مصر نفسها بسيطرة الاحتلال،
وتصريحهم بأن القول الفصل في كل شيء فيها انما هو لحكومة ملك الانكليز، وقد تجلى
الحقيقة الواحدة في مظاهر مختلفة ، وتتشكل في صور متعددة، فيكون لكل مظهر في صورة
أحكام خاصة به عند الحكماء ، وان اشتركت كلها في مقومات الحقيقة الجنسية أو النوعية
دون مشخصاتها ، فالانكليز أقدر أمم الارض على الاستعمار وأبرعهم في السيادة
على الامم ، لانهم يراعون الحقائق في أجناسها وفصولها المقوّمة ، وفي مشخصاتها

المختلفة ، ويسايرون الطبيعة في سنتها ، ويحكمون العقل أكثر مما يحكمون القوة فيها ، ولذلك سادوا على أمم وشعوب وقبائل كثيرة تعد بمئات الملايين، واستفادوا من ثروتها وخيراتها مالم يستفده غيرهم من المستعمرين ، ولم يمنعوا بالقوة أحدا ممن سادوا عليهم أن يرتقوا في العلوم والاعمال، ولاهم يتعمدون ترقيتهم فيها الا بقدار مايفيدهم من توسيع دائرة الثروة، وقد يحولون بينهم وبين مافوق ذلك من الترقي من حيث لا يشعرون

يليهم في هذه البراعة الهولانديون فدولتهم على صغرها تتصرف في أكثر من ثلاثين مليونا من المسلمين تسخرهم لمنافعها وتستعملهم في تلك الجزائر الخصبة (جزائر جاوه) كما تستعمل الانعام ، وهم أجهل من رعايا الانكليز وأضعف عقولا ونفوسا وليس لهم من الاستعداد الموروث ولا من سابقة العلم والمدنية والسلطان مثل ما للهنود والمصريين ، ولذلك لاتحس منهم بحركة ولا تسمع لهم ركزا ، ومن عجائب خمولهم وضعف استعدادهم أن الذين يرحلون منهم لطلب العلم يقيمون السنين الطوال بمكة أو مصر ثم يعود من يعود منهم الى بلاده وهو لا يعرف من أمر العالم الاسلامي ولا من أحوال هذا العصر شيئاً قط ، لانهم يحبسون انفسهم على أفراد من متفقهة الشافعية يتعبدون بعض كتب متأخري الشافعية كابن حجر الهيتمي والرملي ، فان تجاوزوها فالى كتب الشيخ زكريا الانصاري والنووي .

لو جردت من هذه الكتب مايعمل به الذين يتعلمون أحكام المذهب من الجاويين وغيرهم من مسائل العبادات وما يقرب منها من الاحكام الشخصية لامكنك جمعه في مئة ورقة يمكن تعلمها في شهر أو شهرين أو ثلاثة ، ولتكن مئتي ورقة ، وليكن تعلمها في سنة ، فما بالهم يقضون السنين الطوال في مدارسة أحكام المعاملات كالبيوع والشركات واحكام الجنايات والجهاد والرقيق وغير ذلك مما لا يعمل ولا يحكم به أحد في بلادهم وبعمر العمر ولا يحتاجون الى معرفة شيء منه ؟؟ ولا يعرفون شيئا في هذا الزمن من علم القرآن وسنن الله تعالى في الامم كأسباب قوتها وضعفها وعزها وذلها وسيادتها على غيرها وسيادة غيرها عليها؟؟ (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) (١) بلى قد ساروا ولكن لم ينظروا ولم يتفكروا ولم يعتبروا كما أمروا فهم لا يعلمون من أمر عاقبة الذين من قبلهم شيئا ، لايستقرون ولا يختبرون شيئا من أحوال الامم بأنفسهم ، ولا يقرءون التاريخ وعلم تقويم البلدان (الجغرافية) ولا علم الاجتماع وحقوق الدول والامم ، بل تراهم يقيمون السنين في مصر ولا يقرءون جرائدها ،

(٢) في سورة يوسف والرّوم ومحمد

ولا يعرفون طرق الادارة وشؤون العمران فيها ، والقرآن يحثهم على السير في الارض لينظروا ويتفكروا ويعتبروا لا ليتدارسوا كتب ابن حجر والرملي فقط (٢٢: ٤٦ أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

كانت هولندة قانعة وهي دولة صغيرة في أقاصي الشمال باستعمار هؤلاء الملايين في الجزائر الاستوائية من الجنوب وتسخيرهم في استغلال أرضهم لها وتركهم في شؤونهم الروحية والاجتماعية ، لاتوقظهم من نومهم ولاتدع أحدا يوقظهم، ثم انها تصدت في هذه السنين الاخيرة الى تسخير أرواحهم وقلوبهم لها ، لتأمن في المستقبل استيقاظهم على يدغيرها، فوجهت عنايتها الى تنصيرهم وتعليمهم لفتناء أي الى استبدال مقوماتهم الملية بغيرها

كان يروعها ماتجده من شدة تمسكهم في دينهم وتعريضهم أنفسهم للهلاك في سبيل الحج الى بيت الله الحرام فظنت كما يظن بعض المغرورين من المسلمين ان تنصير المقلدين عسير لان المقلد لايصغي للبرهان ولكن الهولنديين يعلمون مايجهله هؤلاء المغرورون من طباع البشر وأخلاقهم ومنها ان الميل الى الاستدلال طبيعي فيهم فاذا منعوا باسم الدين من البحث في البرهان والدليل على أصول دينهم وفروعه فانهم لايمتنعون من التفكر فيما يلقى اليهم من الدلائل على بطلان هذا الدين الذي لايعرفون حقيقته ، وان هذه الدلائل تروج عند الجاهلين وان كانت مقدماتها تؤلف تارة من الجدل والسفسطة ، وتارة من المقدمات اليقينية على بطلان بعض التقاليد التي يسمونها اسلاما وما هي من الاسلام في شيء

سلك الهولنديون لتنصير المسلمين طريقا لم يسبقهم اليه أحد فيما نعلم وقد نجحت التجربة التي جربوها في (ديفو) وهي بلدة بين بتاوي وبوكر نفوسها زهاء أربعة آلاف ، بثوا فيها الدعاة (المبشرين) ومنعوا مسلمي العرب وغيرهم من المستنيرين أن يدخلوها ألبتة . وقد جمع أولئك المبشرون جميع مايعرفون من سيئات مسلمي تلك البلاد وخرافاتهم وضلالاتهم التي راجت بينهم باسم الدين ، وسموا شيوخ الطريق الدجالين ، وبينوا لاهلها فسادها وكون الدين الذي جاء بها لا بد أن يكون باطلا مثلها ، وسخروا لهم بعض أحكام الاسلام ومسائله بتأويلها وصرفها عن حقيقتها ، وأيدوا ذلك بسوء حال المسلمين وكونهم أحط من النصارى علما وعملا وآدابا وثروة وسيادة وأوهموهم أنه لا علة لذلك غير الدين . فتنصر جميع أهل تلك البلدة وبغض اليهم المبشرون المسلمين حتى ان المسلم اذا دخلها لايجد له فيها مأوى ولا يسقيه أحد فنجان قهوة

ولا جرعة ماء بل لايجد من يقابله ولا من يكلمه ، فهل بعث المسيح ليوقع العداوة والبغضاء بين الناس الى هذا الحد ، أم دين السياسة الاوربية عليها الملام شيء ودين المسيح عليه السلام شيء آخر ؟

سر هولندة نجاح هذه التجربة فبثت دعاة النصرانية في تلك الجزائر ، يدعون الاعرق منها في الجهل فالاعرق ، والابعد عن حقيقة الاسلام فالابعد ، واذا دامت الحال على هذا المنوال ، فستكون جاوه كما قال ذلك السائح العاقل اندلسا ثانية، ولا عجب فسلمو جاوه أجهل المسلمين بالاسلام وأشدهم خمولا وقد استيقظ أناس من المسلمين في كل قطر اسلامي كبير وانشأوا يوقظون غيرهم ولا يزال مسلمو جاوه نائمين يغطون ، وقد ابتلوا بأناس من العرب يدعون العلم وماهم من أهله يبغضون اليهم العلم الصحيح الذي يعرفهم أنفسهم ومكانتهم من حكومتهم ومن سائر الناس ، ويحرمون عليهم إنشاء المدارس العلمية على الطرق العصرية المعروفة في مصر ، وان يتعلموا غير تلاوة ألفاظ القرآن للتبرك وبعض أحكام الفقه ، وما يتعلم ذلك الا قليل منهم

اذا حرم هؤلاء الدجالون على المسلمين أن يعلموا أنفسهم مايقوم بهأمر دنياهم ويحفظ به أمر دينهم في مدارس نظامية ، فهل يحرمون على حكومة هولندة ان تنشيء لهم مدارس تعلمهم فيها لغتها وما ترى فيه مصلحتها من علوم الدنيا ، وعلى دعاة النصرانية ان ينشئوا لهم مدارس أخرى ينصرونهم فيها؟ كلا ان قد شرعت الحكومة الهولندية في ضبط ماكان لرؤساء تلك الجزائر الذين يلقبون بالسلاطين (!!) من الارض والغابات والمرافق لتتولى هي إستغلال ماكانوا يستغلونه ، وجباية ماكانوا يجبونه ، وتجعل رزقهم محصورا فيما تجود به عليهم من خزينتها كل شهر أوسنة وتقول إنها ستنفق ربع ذلك على المدارس التي تنشئها لتعليم الاهالي ، وقد وضعت قانونا جديدا لهذه المعاملة وهي تحمل أولئك السلاطين المساكين على اقراره وامضائه فمن لم يرض منهم بترك ما كان له من امتياز وسلطة صورية{ وأن يكون كعمال الحكومات الذين يعطون عند عجزهم راتب التقاعد { المعاش } عزلوه من سلطته ونصبوا مكانه شبحا آدميا آخر وسموه سلطانا ، وهي خير للرعية من أولئك السلاطين الذين لايمنعهم عن الظلم الاالعجز

(روسية) مسلمو روسية أكثر من مسلمي البلاد العثمانية ويناهزون عدد مسلمي جاوه وأكثرهم من التتار والترك والجركس والقرغيز والفرس ، وبعضهم يعد في القانون روسيا محضا والبعض الآخر من المستعمرات ، ومنهم الجاهلون الغافلون الذين لا يعرفون من أمر العالم شيئا قط بل يعيشون كالاوابد والسوائم الا انهم أشداء شجعان لاضعفاء

كالجاويين ، ومنهم المغرورون بما عندهم من بقايا العلوم الاسلامية كالفقه الذي يرون انهم أغنياء به عن كل مافي العالم من العلوم الدينية والدنيوية ، ومنهم الذين دبت فيهم روح الحياة الملية وتوجهت نفوسهم الى الارتقاء الاجتماعي وأكثر هؤلاء من التتار ، وحكومتهم واقفة لهم بالمرصاد ، فلا يرضيها أن يرتقوا بدينهم ولغتهم ، ولا هي تستطيع ان تنصرهم ولا ان تبدل لغتهم ، بل عجز دعاة النصرانية في روسية عن تنصير أعرق مسلمي بلادها في الجهل ، وأبعدهم عن العلم ، لان حظ عامة مسلمي تلك البلاد من عقائد الاسلام واخلاقه وآدابه اكبر من حظ اكثر المسلمين في اكثر الاقطار فهم أرقى من الروسيين روحا وازكى نفسا وأعلى أدبا واكثر في الجملة كسباً، وجذب الاعلى إلى الادنى عسير ،

اذا دبت في الامة روح الحياة فلا يزيدها الضغط والاضطهاد الاحياة وقوة لانه يلم شعثها ويجمع متفرقها ويزيل ما بينها من الاضغان والاحقاد ، والتنازع والخلاف ، ويجعلها إلبا واحداً على من ينازعها أسباب رقيها ومادة حياتها ، فالمصلحة لروسية أن تدعهم يعملون لانفسهم ما شاؤا وان تظهر لهم الرغبة في رقيهم بشرط اجتناب السياسة والتحيز الى دولة أخرى ، ومن مصلحتهم مواتاتها على ذلك واتقاء فتن السياسة ظاهراً وباطناً وحصر سعيهم في دائرة العلوم النافعة من دينية ودنيوية والاعمال التي ترقي الثروة مع التربية الاسلامية (راجع مقالة المانية والعالم الاسلامي في هذا الجزء)

(فرنسة) سكان المستعمرات الفرنسية أربعون مليونا أو يزيدون أكثرهم من المسلمين ، وقد أخطأت فرنسة في طريقة ادارتها وسياستها في الجزائر وظهر لها أنها قد أخطأت ولما يظهر لها الصواب ، وقد كتب ساستها وعلماؤها مما لا نحصي له عددا من المصنفات والمقالات في الاسلام والمسلمين ، والجزائر والجزائريين ، وذكروا آراء كثيرة فيما يراه كل كاتب أمثل الطرق لحكم المسلمين وما افاد ذلك شيئا

بذل الفرنسيون جهدهم في تنصير الجزائريين فلم يفلحوا ، وحاولوا أن يبدلوهم بلغة العرب لغة فرنسة فلم ينجحوا ، أخذت الحكومة أوقافهم ومكنت اليهود من املاكهم فصبروا ، جربت أخذهم بالسيئات لتفسد بأسهم وتأمن عاقبة استبدادهم ، ولم تجرب أخذهم بالحسنات ليبلغوا رشدهم ، وتربح شكرهم وودهم ، ولعلها لولا طمع يهود الجزائر في مسلميها ، ومساعدة يهود باريس لهم وناهيك بنفوذهم فيها ، لوجد هناك من الأحرار من ألجأ حكومتها الى جعل الجزائر زينة بلاد المغرب في العمران ،

ومثابتها في العلم والعرفان ، واذا لكان ما تبغيه الآن ، من استعمار ما بقي في أيدي المسلمين في تلك الاوطان ، أقرب منالا ، وأحسن حالا ،

كان أكبر خطأها الاستعماري في الجزائر إزالة صورة الحكم الاسلامي منها بازالة معناه وجعل الحكومة فرنسية محضة مع العلم بأن صفة الحاكمية هي أشد الصفات تمكنا في نفوس المسلمين فنزعها منهم يحدث في نفوسهم جرحا لايندمل ، ثم اقتدت بانكلترة بعض الاقتداء في استعمار تونس فسمت نفسها حامية لها لاحاكمة فيها، وأبقت لها أميرها (الباي) ولكنها لم تجعل له ولا لرجال حكومته من الامر شيئا قط لاصورة ولاحقيقة ، وكان إبقاؤه أحد الاسباب التي جعلت نصيبها من النجاح في تونس أوفر، وميزان السكون الى حكمها أرجح، حتى زعم بعض رجالها أنهم قطعوا رابطتها الاسلامية التي تربطها بمكة ، على أن تونس ما زالت كما كانت أوسع من الجزائر علماً بالاسلام ، فالعلوم الاسلامية ليست هي التي تبعد المسلمين عن الاوربيين ولكن الاوربيين هم الذين يبعدون المسلمين عن أنفسهم ، وليس الاتفاق بينهم بالمحال وإنما هو من الممكنات التي يعرف طريقها أهل الرأي والبصيرة من المسلمين

وتريد فرنسة أن تتبع خطوات انكلترة في استعمار مملكة مراكش فقد كادت لها كيدها، وعبثت كما تشاء بقبائلها وسلطانها، ففاض طوفان الفتن واندفع السيل الأتي يقذف جلمودا بجلمود، حتى حاصرت القبائل مدينة فاس والسلطان عبد الحفيظ فيها ، وتسنى لفرنسة ان تسوق جيشها اليها لانقاذ الاوربيين ، وحماية السلطان من الثائرين، كما فعلت انكلترة بمصر، فدخلت عاصمة المملكة الحسنية (ولم تمنعها كرامات مولاي ادريس من دخولها كما كان يقول المغاربة كما أن كرامات شاه نقشبند لم تمنع روسية من دخول بخاري كما كان يقول أهلها) ووكل السلطان الفقيه النحوي الاصولي المحدث الى القائد الفرنسي حمايته وحماية عرشه من أهل بلاده الثائرين كما فعل قبله الخديو توفيق باشا ، وقضى الله أمرا كان مفعولا

حذرنا مملكة المغرب الاقصى من هذه العاقبة في السنة الاولى من سني المنار وجزمنا بأنها اذ دامت على تلك الحال من الجهل والفساد فانها لا بد أن تقع في يد أوربة ، وبينا لها طريق النجاة التي تحفظ استقلالها ، وأعدنا الذكرى وكررناها بعد ذلك، وكان المنار يرسل الى السلطان وكبار رجاله ولكنهم قوم لايعقلون، وقد أبسل السلطان الذي يسمونه جاهلا، ولم يعتبر السلطان الذي يسمونه عالماً ، بل ابسل المملكة بأسرها ، وتلك عاقبة الجهل والغرور ، ولله عاقبة الامور ،

تقرير اللجنة التحضيرية

(للمؤتمر المصري)

المنعقد في القاهرة في ٢٩ ابريل سنة ١٩١١

أيها السادة

تحييكم لجنة المؤتمر المصري تحية الاخوان المتضامنين وتشكركم على أنكم لبيتم نداءها لعقد هذا المؤتمر واجتمعتم من اطراف البلاد المصرية لخدمة المصلحة العمومية والنظر في التوفيق بين العناصر المؤلفة للوحدة المصرية التي كاد يتصدع بناؤها من جراء مؤتمر الاقباط

ان الاقباط قد اشتغلوا فيما يشبه الخفاء بتحضير ماسموه جمعيتهم العمومية حتى لم يكن بين خبر انعقادها وبين انعقادها بالفعل الا أيام . ولا شك في ان العمل على هذه الطريقة مريب حتى اذا كان الغرض من جمع الجمعية العمومية النظر في المقاصد القبطية الصرفة التي تتعلق بأحوالهم الشخصية فكيف به وقد ظهر في الجمعية العمومية . أن الاقباط يستقلون ما في ايديهم من السلطة التي مظهرها الوظائف ويستكثرون ما في ايدي المسلمين منها ، يستظهرون بما سموه كفاءتهم الذاتية ويشكون من عدم تقرير اولى الامر لهذه الكفاءة ، يتناسون التقاليد القومية ويطلبون عطلة يوم الاحد بجانب عطلة يوم الجمعة ، يعتبرون ان بين مصلحة المسلم وبين مصلحة القبطي منافاة ويريدون أن يحصلوا على امتياز خاص يجعل لهم في الهيئات النيابية في بلدنا أعضاء من الاقباط يدافعون عن مصلحة الاقلية كأن الاكثرية والاقلية في الامم مترتبة على العقائد الدينية ، لا على المذاهب السياسية ، يرسلون مبعوثيهم الى الامة الانجليزية لبث شكاوى لا تشف الا عن تعصب المسلمين على المسيحيين في مصر

ذلك كان شكل حركتهم وتلك كانت مطالبهم ولا شك في أن الشكل الذي

أخذته هذه الحركة القبطية مريب في ذاته مفض الى الظن بأن الاقباط عولوا على أن يكونوا وحدهم أمة مستقلة وتذرعوا بهذه المطالب حتى يصلوا بمعونة انكلترا المسيحية الى أن يكون لهم في مصر وهم الاقلية الضعيفة حق السيادة على الاكثرية الاسلامية العظمى ، ومن البديهي أن عملا هكذا لا بد ان يؤثر في نفوس المسلمين أسوأ تأثير وينتج نتائجه الطبيعية وهي استحكام البغضاء بين الاقلية الصغيرة وبين الاكثرية الكبيرة ، وذلك ليس من مصلحة الاقلية نفسها ولا من مصلحة الجامعة القومية

لهذا الاعتبار واشفاقاً عن الوطن من أن يكون مرسحا لمظاهر العداوات الدينية قامت هذه اللجنة بدعوة المؤتمر المصري العام ليبحث في عمل الاقباط وتقديره وليزن مطالبهم بميزان العدل وليبين النافع منها والضار والممكن وغير الممكن ويقرر لهم ما يراه حقاً من غير ان يحوجهم الى السعي باخوانهم وشكايتهم الى غيرهم فان المصريين أولى بانصاف المصريين

الى ذلك دعت اللجنة بانعقاد المؤتمر أولا وبالذات ، ولكنه لما أن مؤتمراً عظيماً كهذا يجب ان يأتي باكمل ما يمكن أن يأتي به من الفائدة رأت اللجنة أن يتناول المؤتمر البحث أيضاً في المسائل الاجتماعية والاقتصادية وكل ما له علاقة بسعادة الامة ما عدا المسائل السياسية داخلية كانت أو خارجية لان الظروف التي فيها مصر الآن من الجهة السياسية لاتسمح بدخول هذا المؤتمر في السياسة من غير أن يضحي تضحية تامة كل الاغراض التي اجتمع لاجلها ، وان اللجنة لا تشك في أن كل مؤتمر من المؤتمرين قد حضر الى هذا المؤتمر عالماً يقيناً بأن جميع التقارير التي لها علاقة بالسياسة عن قرب قد أهملت لخروجها عن برنامج المؤتمر كما أنها لا تسمح بأي وجه مالاي مقترح أن يبدي اقتراحاً خارجاً عن البرنامج المنشور

(الاكثرية والاقلية)

لا شيء أضر على البلاد من نتائج ذلك الخطأ الذي يتسرب الى عقول بعض المصريين على العموم وكثير من الاقباط على الخصوص . ذلك الخطأ الفاضح هو تقسيم الامة المصرية باعتبارها نظاماسياسياً الى عنصرين دينيين : أكثرية اسلامية وأقلية قبطية ، لان مثل هذا التقسيم يستتبع تقسيم الوحدة السياسية الى أجزاء دينية أي تقسيم الشيء الى أقسام تخالفه في الجوهر . الامة باعتبارها كائنا سياسيا ونظاما سياسيا انما

تتألف من عناصر سياسية كذلك فأيما مذهب من المذاهب السياسية اعتنقه أفراد أكثر عدداً وأثراً كان أكثرية وكان الآخر أقلية وعلى هذا يمكن فهم الاكثرية والاقليات في كل أمة وليس للدين في ذلك دخل غير ان لكل أمة دينا رسميا وذلك ضروري بل مشخص من مشخصاتها ودين كل أمة هو دين حكومتها أودين الاكثرية فيها على ذلك يكون من السهل فهم انقسام الامة باعتبار المذاهب السياسية الى أكثرية وأقليات كلها غير ثابتة بل متغيرة بتغير المذاهب السياسية وانتشارها قلة أو كثرة ولكن من غير المفهوم بالمرة أن يكون في الامة أكثر من دين رسمي واحد وعليه فلا معنى للاعتراف بأقليات دينية تعمل في السياسة بهذه الصفة أو تكسب حقوقا عامة أكثر من أن يخلى بينها وبين القيام بواجباتها الدينية عملا بحرية الاعتقاد

دين الامة المصرية هو الاسلام وحده لانه دين الحكومة ودين الاكثرية في آن واحد . ذلك أمر بعيد بطبعه عن المناقشات في المصالح الدنيوية العامة التي تكون بين الاكثرية وبين الاقليات السياسية . ولا شك في ان العمل في السياسة بالنسبة للافراد وبالنسبة للمجاميع لا يصح أن تكون قاعدته المنفعة . ويسرنا ان الاحزاب السياسية في مصر قد سارت على هذا النحو ولم تلحظ في هيئة تأليفها ولا في برنامج أعمالها اختلاف المعتقدات الدينية

بعد ذلك كيف يمكن الاعتراف بأن أقلية دينية تباشر بهذه الصفة الاعمال العمومية ويكون لها مطالب خاصة كأنما هي أقلية سياسية . لا يمكن الاعتراف بذلك الا اذا أمكن أن يكون للامة دينان في آن واحد وان يكون أساس الاعمال في المصالح العامة هو الدين . ذلك غير ميسور التحقق ولا مسلم به في النظر . فمن الخطأ أن يكون من الاشياء المسلم بها اعتبار ان الامة السياسية تتألف من عناصر دينية

الحقوق والمرافق في مصر انما هي على الشيوع بين جميع المصريين على السواء لا امتياز لاحد منهم على أحد بسبب كونه مسلما أو مسيحياً أو يهوديا ومن الظلم الصارخ ان يقع هذا الامتياز لفرد من الافراد أولمجموع من المجاميع بسبب انه على دين المصريين (الاسلام) أو على دين غيرهم . حسب العالم ماكان من جراء الانقسامات الدينية فلا نأتي في القرن العشرين لنجعل الاعتقادات الدينية أساساً للامتيازات بين الافراد في الحقوق الوطنية

لا نغفل ان نصرح هنا بأن الاحوال في مصر كانت متمشية على هذه القاعدة من زمن غير قريب ولكن الحكومة وبعض الصحف قد تركت الناس تفهم أن

حفظ بعض المراكز للاقباط في مجلس الشورى انما هو للدفاع عن الاقلية فكان من نتائج ذلك آن اعتقد بعض الناس هنا أن الاقباط بصفتهم أقلية مسيحية يصح أن يكونوا بهذه الصفة أقلية سياسية لها مصالح قد تنافي مصالح الاكثرية . وكان هذا هو الاساس الذي بنى عليه كثير من الاقباط شكاواهم ومدعياتهم . نجم هذا الفهم في العقول واختلط بشيء غير قليل من الطمع في أن يجعل الاقباط لانفسهم مركزا خاصاً وتضامنا خاصا وأندية خصوصية وجرائد سياسية خاصة للدفاع عن مصالحهم السياسية وسمتهم جرائدهم الاخيرة بالامة القبطية . وقد دل كل ذلك على أن الخطأ الذي وقعت فيه الحكومة بادئ الامر قد غذى اطماعهم وقوى شهوتهم في أن يؤلفوا بصفتهم مسيحيين جامعة قبطية تتدرج في أطماعها من سلم الى سلم حتى تحوز بين يديها السلطة في مصر اعتمادا على هذا الاحتلال المسيحي وعلى أن المصريين أخوف ما يكون من أن يرموا بالتعصب الديني . ولقد ظهرت هذه المقاصد بارزة في صحفهم بادئ الامر ثم في مؤتمرهم الاخير

ولكن علاقتهم بالمبشرين من الامريكان وبعض رجال الكنائس الانكليزية والجرائد الانكليزية قد خدعتهم كثيراً اذ جعلتهم يظنون ان في طاقة الاحتلال أن يجعل مصر مرسحاً للعداوات الدينية وأن يجعل للاقليات الدينية امتيازات خصوصية بوصف أنها أقليات دينية ، والاقباط أولي الرأي من الاقباط كانوا يكرهون الى عهد قريب أن يطالبوا بحق من الحقوق السياسية بصفتهم أقباطا بل كانوا في مقدمة الذين يقولون أنهم مصريون قبل كل شيء ولا شك في أن المصري قبل كل شيء لا يطالب بحق الا بوصف كونه مصريا فقط والمجموع المصري لا يطالب بحق الا بوصف انه مجموع مصري فقط دون أن يصف نفسه بالمسيحية أو بالاسلامية .

على أن وصف الاقباط مجموعهم بالاقلية القبطية أو بالجمعية العمومية للاقباط ومطالبتهم بحقوق أو شكواهم من عدم تنفيذ القوانين بهذا الوصف واستنادهم على اخوانهم في الدين من الامريكان والانكليز وبثهم المبعوثين في انكلترا لبث شكواهم كل ذلك لا يدل الا على أنهم يرمون المسلمين بالتعصب الديني . ذلك صريح جداً على الرغم من تلطف خطابتهم في العبارات الى حد أكثر من التلطف بل تصريحهم في مؤتمرهم بأنهم عائشون مع المسلمين على غاية الوفاق ، وليس من البعيد أن التوفيق بين تصريحاتهم في المؤتمر من محاسنة المسلمين لهم (وهذا الواقع) وبين الاشكال التي اتخذوها لاعمالهم والوسائل التي اختاروها لانجاح مقاصدهم ينتج في عمومه أنهم

وضعوا المسلمين في جانب وأخذوا يساومون الادارة الانكليزية في مصر على الوظائف التي في يد المسلمين وهم يظنون أن المسلمين يكفيهم في كل هذه المساومة أن لا يرموا بالتعصب الديني أو ان يشهد لهم بأنهم حسنو السلوك مع أخوانهم الاقباط .

كل ذلك انما كان نتيجة اعتبار أن الاقلية الدينية يصح اعتبارها أقلية سياسية ويصح لها بذلك أن تقوى فتحوز السلطة ومظاهرها باسم الدين ، فيجب علينا أن نصرح بأننا لا نعرف أقلية دينية بين مصالحها وبين مصالح المصريين منافاة أو ان مصالحها في حاجة لرعاية خاصة واستثناء في القوانين العامة المطبقة في مصر على جميع المصريين على السواء . وليس لمجموع ديني أن يكون له من المطالب السياسية بهذا الوصف الا فيما يتعلق بالامور الدينية وما يتبعها كتنظيم البطركخانات الملية . الخ والا فكل مطلب سياسي من مجموع ديني لا تكون نتيجته الا التفريق بين المصريين في المعاملة

ومع اعتبار ان الشكل الذي تمت عليه مطالب الاقباط ليس مقبولا لما فيه من جعل الدين أساساً للتفريق في المعاملة فان اللجنة تقدم للمؤتمر نتيجة بحثها في تلك المطالب

(١)

﴿ مطالب الاقباط ﴾

١ — عطلة يوم الاحد

كما أن لكل حكومة دينا رسمياً واحداً كذلك لها يوم عطلة واحد في الاسبوع سواء كان الدين يوجب عطلة ذلك اليوم أولا يوجبها وليس لنا أن نبحث في نصوص الاصول الدينية في هذا الموضوع بل الذي نراه بين ظهرانينا أن الانكليز والفرنساويين والطليان وغيرهم من الموظفين في الحكومة المصرية يشتغلون يوم الاحد ويبطلون يوم الجمعة ولم نسمع الى اليوم انهم تركوا دينهم ولا انهم طلبوا الى الحكومة — وهم قادرون عليه — اعفاءهم من العمل يوم الاحد ، ولقد أعفت الحكومة الموظفين المسيحيين من التبكير الى مصالحهم يوم الاحد حتى تؤدى الصلاة ولا شك في أن المسيحيين الموظفين فيها من المذاهب المختلفة قد رأوا هذه الرخصة كافية للتوفيق بين قيامهم بأمر الدين وبين واجبهم الرسمي ولم يطلبوا عليه المزيد ، وكذلك كان

الاقباط الى هذا الشهر الفائت عند انعقاد جمعيتهم العمومية لا يرون عطلة يوم الاحد وأقرب الفروض الى فهم هذه النظرية هو تعطيل يومين في الاسبوع يوم الجمعة للمسلمين ويوم الاحد للمسيحيين ، ولقد ترك اليهود من غير يوم مع تحرجهم في السبت أشد من تحرج المسيحيين في العمل يوم الاحد،فاذا قسمت الايام بين العناصر الدينية وجبت عطلة الاعمال ثلاثة أيام في الاسبوع !!

اصطلحت الحكومات الاسلامية على جعل يوم الجمعة هو يوم البطالة الرسمي فأصبحت عطلة ذلك اليوم عادة للحكومات الاسلامية وواحداً من تقاليدها القديمة التي تمتاز بها عن غيرها ، فهي بذلك لا يجوز لها أن تعطل غير يوم الجمعة من أيام الاسبوع اذا أمكن أن يعطل النظر في مصالح الناس يومين اثنين غير أيام الاعياد القومية ، ذلك ولان عطلة يوم الجمعة جزء من السيادة جرت حكومة لبنان وهي حكومة مسيحية والبهامسيحي واكثرية الشعب فيها مسيحية على أن تعطل يوم الجمعة حفظاً لتقاليد الدولة العلية ذات السيادة عليها

على أنه من الضروري البحث فيما اذا كان الاقباط غير الموظفين وغير تلامذة المدارس يشتغلون يوم الاحد أم هم يعتقدون أن من يشتغل فيه يقتل ؟ الواقع أن الاقباط في مزارعهم يشتغلون كل الايام من غير فرق كما ان المسلمين يشتغلون في مزارعهم كل ايام الاسبوع من غير تفريق بين الجمعة وغيرها الا وقت صلاة الجمعة فما هي الحاجة لهذه البدعة الجديدة وهي ابطال مصالح الحكومة ومدارسها يوم الاحد أيضاً ؟

الظاهر أن الدافع الى ذلك هو الطمع في انتهاز فرصة الاحتلال المسيحي لابطال التقاليد الاسلامية والاستهانة بالاكثرية وتقسيم الشعائر القومية نصفين متساويين بين أقلية صغيرة بعض أفرادها على دين الانكليز وبين الاكثرية الكبرى الاسلامية ، تعطل الحكومة أعمالها يومين ، كما يجب عليها جريا على هذا المبدإ الاحتفال رسمياً بأعياد الجماعتين على السواء مع عدم ملاحظة طابع الحكومة ووصفها الاسلامي ومع عدم اعتبار أن هناك اكثرية دينها يجب أن يكون الدين الرسمي لا غيره وتقاليدها هي التقاليد الرسمية لا غيرها ، أمر لم يكن له مثيل في حكومة من حكومات العالم ولا في انكلترا نفسها التي ليس لحكومتها الا دين رسمي واحد

لا يظهر أن لهذا الطلب دافعاً غير الطمع في اخضاع الاكثرية الى أحكام الاقلية الدينية لان الطلب مجرد عن المنفعة العملية ، اذ لو فرض أن الحكومة تعطل يوم

الاحد - وذلك لن يكون بالضرورة - فما الذي يكره الاقباط الفلاحين على عدم كسر الاحد وهم يكسرونه مختارين ، فأما أصحاب المحلات التجارية القليلون الذين يقفلون محلاتهم يوم الاحد فذلك لان ارتباطهم بالبنوك والحركة التجارية العامة تقضي بذلك كما يقفل المسلمون أنفسهم ، واذا كان الافراد الاقباط يشتغلون مختارين يوم الاحد فأي نتيجة عملية ينالها المؤتمرون في جمعيتهم العمومية من ذلك المطلب؟

وعهدنا في أولي الرأي من الاقباط أن يدركوا ادراكا صحيحاً مقدار الخطأ الذي ارتكبه جماعة المؤتمرين منهم بتقرير مثل هذا القرار الذي مع كونه غير ميسور الاجابة مطلقاً لا يخلو من الضرر لما فيه من دواعي التفريق بين أفراد الامة الواحدة ولما يستتبعه من سوء الظن بالاقباط ، بل يسرنا أن لا يفكر المسلمون كثيراً في العوامل الباعثة على مثل هذا الطلب وان يقابلوه بغاية التسامح ونطلب الى هذا المؤتمر أن يقرر بعدم إمكانه وعدم فائدته وبأنه مضر بالجامعة القومية فيجب اغفاله والتجاوز عنه

٢ — قاعدة التوظيف في الحكومة

ليس في قوانين التوظيف في الحكومة المصرية شرط يمنع المصري الكفء من الوصول الى أرقى المناصب مهما كان دينه ولكن الاستقراء يدلنا على أن بعض الوظائف الادارية كوظيفة مدير أقليم لم يشغلها الى الآن غير مسلم ، مع أن الوظائف الارقى منها كوظيفة قاضي الاستئناف أو وكيل نظارة من النظارات أو مركز ناظر أو رئيس نظار شغلها ويشغلها الاقباط ، ولا طريق لتفسير هذا التضاد الا أن تكون الحكومة في تطبيق قانون التوظيف تلحظ الكفاءة من جميع الوجوه الممكنة ومن تلك الوجوه الاعتبار الذاتي لحكام الاقاليم لان هؤلاء الحكام الاداريين يلزمهم كثيراً في تصريف الامور نفوذهم الذاتي أكثر من قوة القانون ، فمن المسائل الكثيرة التي يجب عليهم القيام بها بمقتضى وظائفهم حمل الاهالي على المشروعات المفيدة كالمجالس البلدية المختلطة وكترقية التعليم بوسائل الاكتتاب والاصلاح بين العائلات وبين العربان ، وعلى العموم فان تنفيذ الاوامر الادارية تسهله كثيرا اعتبار الحاكم الذاتي متى أضيف اليها سلطة وظيفته

ومن المسلم أن الرجل لا يتم له هذا السلطان على محكوميه في حكومة كالحكومة المصرية الا اذا اعتقد الناس فيه عدم التحيز لطائفة دون طائفة وأقرب الناس الى ذلك من الحكام هم المسلمون لا لانهم مسلمون بل لان التعصب والتحيز لا يكون

من شعار أفراد الاكثرية الدينية ، ولكن الحوادث العامة تدل على ان من دأب الاقلية الدينية - اذا أحبت أن لا تفنى في الاكثرية - أن تجتهد في إثبات ذاتيتها بصفتها مجموعاً خاصاً مستقلا ولا تفتأ تعطي كل يوم مثلا جديداً على تضامنها ولقد يؤدي الافراط في التضامن الى الوقوع فيما لا يتفق مع نزاهة الحاكم ، ذلك أمر يكاد يكون عاماً في جميع الاقليات الدينية ، وان كان لدينا من الامثلة على نزاهة بعض كبار الموظفين من الاقباط وعدم تحيزهم وقيامهم بالواجب العام خير قيام الا أن تطبيق الحكومة في قانون التوظيف في الوظائف الادارية العالية يدل على أنها تخشى من جراء الافراط في التضامن بين أفراد الاقلية

ومن الاسف أن الاقباط بقرارتهم الاخيرة في الجمعية العمومية قد صدقوا نظر الحكومة فيهم وأعطوها برهاناً قاطعاً على أنهم يشتغلون بوصف أنهم اقباط قبل كل شيء ، مع ان حاكم الاقليم يجب أن يكون مصريا قبل كل شيء

أجل ان مما يستحق الاسف أن يظهر الاقباط في مصر بهذا المظهر الذي تأباه عليهم وطنيتهم ، فقد جمعوا جمعيتهم العمومية ليقصروا أعمالهم فيها على ما يتعلق بهم وحدهم من الشؤون العامة ، ثم صرح بعض خطبائهم بوجود فتور في العلاقات بين المسلمين وبين الاقباط. ثم طلبوا أن يكون لهم امتياز خاص في الهيئات النيابية المصرية بأن يجعل للمسلمين دائرة انتخاب خاصة وللاقباط دائرة انتخاب خاصة ثم يحاسبون على ما يدفعونه من ضريبة الخمسة في المائة المخصصة للتعليم، يقررون كل هذه الفروق في حين انهم يقررون فيما يتعلق بالوظائف بفناء طائفتهم القبطية في الامة المصرية اذ يقولون انهم لا يطلبون وظيفة مدير ولا وزير بل يطلبون أن لا يكون تنفيذ القانون مانعا لاي مصري من الدخول في أية وظيفة ثبتت كفاءته لها .

وبالتوفيق بين جميع نقط التفريق بين العنصرين التي ذكرها الاقباط في جمعيتهم العمومية وبين تقريرهم قاعدة الكفاءة بمعناها الاخص لوظائف الادارة . يبين أن تقرير الكفاءة ليس غرضاً من أغراضهم الجدية . ولكنهم يرمون الى غرض آخر هو التذرع الى الاختصاص بالسلطة في جميع فروع الحكومة

ثم ليكون الاقباط متخين نتيجة منطقية في مطالبهم يجب أن يقولوا انهم أمة صغيرة مع الامة الكبيرة تقاسمها في أيام العطلة وتقاسمها في الخمسة في المئة من الضريبة وتقاسمها في النواب عن البلاد للدفاع عن الاقلية وتقاسمها في الوظائف أيضا. غير أنهم قد رأوا أن نصيبهم من الوظائف أظهر من أن يستر كالمقاصد الاخرى فرأوا

أن يتذرعوا في هذا الطلب بأنهم مصريون قبل كل شيء ولكن في بقية الاغراض الاخرى هم أقباط قبل كل شيء

ان لم يكن الامر كذلك وكان الاقباط حقيقة يريدون أن يكونوا مصريين قبل كل شيء يقررون الوظائف بالكفاءة والنيابة بالكفاءة ويعتبرون أن لا مسلم ولا قبطي كما اعتبر المسلمون ذلك فانتخبوا نوابا من الاقباط في مجالس المديريات وفي الجمعية العمومية كما سيجيء بيانه فلماذا يريدون اختصاص الاقباط - وليسوا أقلية سياسية - بدائرة انتخاب خاصة يجمعونهم من أطراف البلاد لينتخبوا كأنما لهم مذاهب سياسية تخالف مذاهب المسلمين ؟

لا جواب على ذلك الا انهم ظنوا خطأ ان الاحتلال الانكليزي يستطيع أن يرضي الاقلية فيذهب بتقاليد البلاد ويمحو مظاهر المساواة والعدل في ارجائها . أو أن هذا الاضطراب الذي قاموا به يروق في عين الانكليز وهو ظن أبلغ في الخطأ من سابقه.

ولئن كانوا بتقرير الكفاءة يستقلون ما في أيديهم من الوظائف فانه اذا كانت نسبة الموظفين منهم في المعارف الى المسلمين ٦ في المئة فان نسبتهم للمسلمين في نظارة الداخلية ٦١ و ٥٩ في المئة وليست نسبة مرتباتهم لمرتبات المسلمين قليلة في هذه النظارة لان نسبتهم في المرتبات هي ٢٨ و ٤٠ في المئة مع أن نسبتهم العددية للمسلمين لا تجاوز ٤٣ و ٦ في المئة وبالنسبة للثروة لا تجاوز ١٠ في المئة كذلك نسبتهم في نظارة الحقانية ١٥ في المئة في عدد الوظائف و ٥ و ١٤ في المئة في المرتبات كذلك في نظارة المالية نسبتهم الى المسلمين ٤٦ في المئة غير الصيارف الذين عددهم ١٨٧٧ مع أن عدد المسلمين منهم لا يجاوز الخمسين . كما يظهر من الاحصاء التفصيلي المرفق بهذا التقرير

كل من يقرأ هذه النسبة بين عدد الاقباط في مصر وبين الموظفين منهم لا يرى مناصا من الميل الى فكرة القائلين بأن الرئيس القبطي متى حل في مركز الرئاسة تطرف في تطبيق معنى التضامن بينه وبين أبناء دينه فكانت النتيجة أن المصالح التي يكثر فيها الرؤساء الاقباط كالباشكتاب والمراقبين في المالية ورؤساء الحركة والبضائع في السكة الحديد لا تكاد تقبل توظيف المسلمين بها . ولا شك في أن هذه الملاحظة يجب أن تكون درسا للحكومة تستفيد منه كلما همت بتعيين رئيس قبطي في المصالح

ولقد كانت هذه الحال غير مجهولة عند المسلمين ولكنهم كانوا يرون التصريح بها

داعيا الى التفريق بين عنصري الامة المصرية وموطئاً لاتهامهم بالتعصب بوجه ما . ولكن الاقباط قد رفعوا أصواتهم عالية بأنهم مظلومون فيما يتعلق بالتوظيف محرومون من بعض السلطة في الحكومة طالبين الوظائف الرئيسة في الادارة . فلم يبق بعد ذلك معنى لعدم اظهار الحالة السيئة التي سارت عليها المصالح الاميرية الى الآن

مهما كان من الاعتبارات التي تقف في طريق القبطي ليكون حاكما لاقليم سواء كان ذلك من حيث ان في أيدي الاقباط من الوظائف الرئيسية الاخرى مايزيد عن الكفاية أو من حيث أنه لاتوجد مديرية من المديريات ولامركز من المراكز فيه للاقباط أكثرية أو أقلية كبرى كما يبين من الاحصاء المرفق بهذا التقرير . أو من حيث كون المدير أو المأمور عليه بمقتضى وظيفته واجبات يومية لها مساس عن قرب بالامور الدينية . فان ماسميناه بالافراط في التضامن بين الرئيس القبطي وأبناء دينه قد يكون هو أكبر الموانع في الرضى بجعل القبطي مديراً أو مأموراً . خصوصاً بعد اليوم الذي ظهر فيه أولو الرأي منهم بالعمل لاختصاص الاقباط الاقلين بالسلطة دون المسلمين الاكثرين . فان أول المطلوب في أمر الحاكم أن لايكره المحكومون سلطته عليهم . وقد كان الاهالي بعيدين بعض الشيء عن فكرة التمييز على طريقة ظاهرة معينة بين الموظف القبطي وبين الموظف المسلم . ولكنهم الآن قد شعروا تماماً بأن تسامحهم قلب عليهم تعصباً وانتخابهم لنواب الاقباط دون المسلمين في بعض المراكز لم ينل في نظر الاقباط أي اعتبار من الاعتبارات

وانه ليسر اللجنة أن يجيء اليوم الذي فيه يعم الاقتناع بأن الرئيس القبطي كالرئيس المسلم يسوي بين الناس في عدله وتصرفاته ليكون مصرياً قبل كل شيء

على هذه الاعتبارات تطلب اللجنة الى المؤتمر أن يقرر بالرضى عن الطريقة المتبعة في تطبيق الكفاءة بالنسبة لحكام الاقاليم والفات نظر الحكومة الى ماهو واقع في بعض المصالح لتضع لذلك حداً يمنع من العبث بالمصالح العامة

٣

وضع نظام لمجالس المديريات يكفل للاقباط تعليمهم بالتعليم الاهلي

أباح القانون لمجالس المديريات ضرب الضرائب على الاطيان بحيث لاتتجاوز الخمسة في المائة من الضريبة الحالية وهذه الضريبة تصرف أما على المشروعات العمومية أو مدارس ابتدائية أو صناعية وزراعية . وهذا لايعارض الاقباط فيه وانما معارضتهم

واردة على ما يتفق على الكتاتيب الاولية ومدارس معلمي الكتاتيب . ولا ندري وجه هذا الاعتراض وهم يعترفون أنه لا مانع في قانون مجالس المديريات يمنع من قبول التلاميذ الاقباط في الكتاتيب الا ان يكون الاعتراض بأن هذه الكتاتيب لا تعلم الدين المسيحي

ان الجزء الاعظم من الكتاتيب التي تديرها مجالس المديريات الى الآن والكتاتيب التي تعينها نظارة المعارف أنما هي كتاتيب بناها المسلمون وأجروا عليها الاوقاف تعبداً ليتعلم فيها صبيان القرى القراءة والكتابة والقرآن وطرفا من الحساب . وليس في البلاد قانون يمنع صبيان الاقباط من التعلم فيها . وأما مدارس معلمي الكتاتيب فانها تضم جماعة من الفقهاء يتعلمون شيئاً من أصول التربية وأطرافاً من مقدمات العلوم ليكونوا بعد ذلك معلمين للقرآن وغيره في تلك الكتاتيب فالقبطي لا يجيد تعلم القرآن ليعلمه لابناء المسلمين لذلك صار من غير الموافق أن يكون في هذه المدارس أقباط ولا غبن في ذلك عليهم لان العرفاء الاقباط يتعلمون في الاديرة وما شاكلها ليعلموا الدين في الكتاتيب القبطية

فان كان الغرض جعل الدين المسيحي والدين الاسلامي يعلمان في مكاتب القرى فذلك غير مستطاع ولا مأمون النتيجة لان أصول التعلم في تلك الكتاتيب لا تزال الى الآن دينية بحتة ، لذلك لا يصح الاستشهاد بخصيص حصة آخر النهار في المدارس الاميرية لتعليم الدين الاسلامي أو الدين المسيحي لان هذه المدارس ليس طابعها في التعليم كطابع الكتاتيب الدينية التي معظم ما فيها من التعليم هو تعليم القرآن كما أن الاستشهاد بعمل مديرية القليوبية غير صحيح لانها لم تعلم الدين المسيحي في الكتاتيب الاسلامية بل في المدارس الابتدائية جريا على نظام نظارة المعارف . وأما الكتاتيب فانها اسلامية الا في ثلاث قرى وجد فيها عدد من الاقباط يسمح بانشاء كتاب مسيحي في كل منها . فانشئ في كل قرية منها كتاب مسيحي صرف . وتلك هي أفضل طريقة لتعليم الاولي

وعلى هذا فالشكوى من نظام مجالس المديريات فيما يتعلق بالتعليم أقرب الى أن تأخذ صورة التجني من أن تأخذ صورة الشكوى الجدية . والدليل على ذلك أعمال مجالس المديريات الى الآن :

وان اللجنة في هذا المقام لا يسعها الا أن تظهر عدم الرضى عن الخطة التي اختطها بعض مجالس المديريات لتعليم الدين المسيحي في الكتاتيب الاسلامية لان ذلك خلط في الانماط التعليمية لا يكون من ورائها الا نتيجة سيئة . وهي ايجاد متسع للمناقشات

الدينية في هذه الاوساط التي لايزال يغلب عليها الجهل · ولكن يسرنا أن هذه الطريقة لم تكن عامة في المديريات جميعها وربما تظهر التجربة فساد الرأي ويرجع مجلس المديرية عنه الى المذهب العام الذي اتخذه معظم المديريات وهو جعل كتاتيب خاصة بالمسلمين وأخرى بالاقباط

(مديرية القليوبية) - عدد سكانها ٤٣٣٥٤٦ منهم ٨٧٠٣ أقباطاً ومجموع ضريبة الخمسة في المائة هو مبلغ ١٣٨٦٨ جنيها يدفع الاقباط منها ٦٨٩ جنيها وحظهم في التعليم أضعاف مايستحقون بنسبة مايدفعون من الضريبة فان مجلس المديرية عنده مدرستان ابتدائيتان في بنها احداهما للبنين وبها ١٨٢ تلميذاً منهم ٤٧ أقباطاً وميزانيتها السنوية ٩٠٠ جنيهاً والثانية للبنات وبها ١١٥ تلميذة منهن ٣٥ قبطية وميزانيتها السنوية ٥٠٠ جنيه - وتعليم الدين في هاتين المدرستين في الحصة الاخيرة من النهار متى جاءت تلقي كل فريق التعليم الديني في غرفة خاصة . وسيكون للاقباط ذلك الحظ أيضاً في الثلاث المدارس الابتدائية المقرر انشاؤها في مراكز المديرية فاذا كان متوسط مايصرف على المدرسة الواحدة ٨٠٠ جنيه في السنة وكان الاقباط على نسبة الثلث في كل مدرسة كما هو الان في المدرستين الموجودتين كان مقدار مايصرف على الاقباط في ميزانية مجلس مديرية القليوبية هو الف جنيه سنوياً

أما الكتاتيب فان المجلس قد قرر بشأنها أن تبقى كما كانت مفتوحة الابواب للمسلمين وغيرهم في جميع القرى . ومما يستحق الذكر أن المجلس ضم اليه كتابين قبطيين ليديرهما وقرر انشاء كتاب قبطي صرف في احدى القرى وتبلغ نفقات انشائه ٣٠٠ جنيه وتبلغ نفقات الثلاثة الكتاتيب ٢١٠ جنيهات سنوياً فهل يمكن أن يقول الاقباط انهم مظلومون في ضريبة الخمسة في المئة في هذه المديرية ؟

(مديرية الشرقية) - لم يبتدئ مجلس هذه المديرية فعلا في أمر التعليم بل كل أعماله تجهيزية ولم يظهر له طريقة اتبعها في ذلك يمكن لاحد أن يأخذ عليه أو يشكو منها.

(مديرية الدقهلية) - قرر مجلسها أن القرى التي يقل فيها عدد الاقباط يقبل أبناؤهم في الكتاتيب الموجودة بها وأما في التي يحتمل عددهم فيها انشاء كتاب قبطي فالمجلس مستعد لانشائه - وقد قرر هذا المجلس منح مدرسة قبطية للبنات اعانة سنوية وصرفها لها فعلا من سنة ١٩١٠ - وقرر المجلس أيضاً انشاء كتاب لتعليم أبناء الاقباط في صهرجت الكبرى وسينفذ القرار في هذا العام . أما في غير التعليم الاولي فالاقباط والمسلمون سواء

(مديرية الغربية) - لم يشرع المجلس حتى الآن في اتخاذ طريقة للتعليم ولكن المجلس عند مايقرر الاعانات في المعاهد الاهلية لابد أن يعامل كتاتيب الاقباط وكتاتيب المسلمين على السواء

(مديرية المنوفية) - لم تنته المدارس والكتاتيب التي قرر المجلس انشاءها وطلبات اعانة المدارس القبطية تحت نظر المجلس

(مديرية البحيرة) - كذلك في هذه المديرية تصرف الاعانات لجميع الكتاتيب على السواء ، وأما المدارس الابتدائيه فمفتوحة للاقباط والمسلمين بحسب بروجرام نظارة المعارف . ويوجد الآن في مدرسة شبراخيت ٢٦ تلميذاً قبطياً منهم ٥ مجانا. ومجموع تلامذة المدرسه ٢٠٨ وكذلك في مدرسة المحمودية ١٢ قبطياً منهم اثنان مجانا وعدد جميع التلاميذ ٢٠٥ - ويلاحظ هنا أن نسبة الاقباط للمسلمين في هذه المديرية هي ١ وثلاثة أعشار في المئة

(مديرية الجيزة) - قرر المجلس أن دروس القرآن بعد الظهر وأما قبل الظهر فالتعليم العام في الكتاتيب للمسلمين وغير المسلمين وقد قرر هذا المجلس في ٣٧ يوليو سنة ٩١٠ أنه اذا بلغ عدد الاقباط في الكتاتيب ٣٦ تلميذاً يعين لهم المجلس معلما يلقنهم الدين المسيحي في الوقت الذي يتلقى فيه المسلمون دروس القرآن .

(مديرية بني سويف) - المعاهد التابعة للمجلس هي مدرسة بني سويف الصناعية وتلامذتها من المسلمين والاقباط وتقرر انشاء مدرستين ابتدائيتين أخريين سيكون الحال فيهما كذلك وقد تقدمت طلبات اعانة من الجمعية الخيرية القبطية والمدرسة الانجليزية والمدرسة الطليانية والمجلس ينظر في تقديم الاعانة اليها جميعا

(مديرية الفيوم) - في مدرسة الصنائع وفي مدرسة البنات الامر سائر على ماهو عليه في غيرها ، وأما التعليم الاولي فقد قرر المجلس انشاء كتاتيب للاقباط يعلم فيها الدين المسيحي في القرى التي يسمح عددهم فيها بذلك ، وقرر أيضاً أنه متى كان عدد التلامذة الاقباط في الكتاتيب الاسلامية يسمح بوجود معلم للديانة المسيحية يعين المجلس لهم معلماً دينياً .

(مديرية المنيا) - في هذه المديرية وضعت اللجنة العلمية المبادىء التي تتبع في الكتاتيب وكان من أعضائها عضوان مسيحيان من قبل مطران المنيا وهذه قواعد هي :

(١) ان مواد التعليم في الكتاتيب واحدة وان يعلم في الكتاتيب المسيحية

الكتب الدينية التي اقترحها العضوان المسيحيان وبخصص لها الحصص المخصصة في الكتاتيب الاسلامية لتعليم الديانة والقرآن ، وللكتاتيب المسيحية الحق في تغيير تلك الكتب بشرط تصديق اللجنة العلمية وبلغ هذا القرار لسيادة مطران انبا ومطران بني سويف

(٢) ان تكون الكتاتيب مفتوحة الابواب لجميع التلامذة بصرف النظر عن اختلاف دينهم

(مديرية أسيوط) - قرر مجلس هذه المديرية ادارة ٧٩ كتاباً منها ٩ كتاتيب للاقباط يتولى المجلس الصرف عليها جميعها بلا استثناء ويكون التعليم فيها جميعاً مجاناً وأما الثلاث مدارس الابتدائية فهي مفتوحة الابواب للجميع وفي هذه المدارس الثلاث ٢٠ في المئة من الاقباط والاقباط فيها يعلمون دينهم كالمسلمين على السواء أما المعاهد العلمية فقد خصص لها المجلس إعانة ٢٠٠٠ جنيه في السنة تأخذ المعاهد القبطية منها حظها

(مديرية جرجا) - يدير المجلس اربع مدارس ابتدائية للصبيان وفيها ٤١٠ تلميذاً منهم ١٨٨ أقباطاً فيكون نسبتهم للمسلمين هما ٢٤ وثلاثة أرباع في المئة مع أن نسبة مايدفعه الاقباط من الضرائب في المديرية هي ٢٠ في المائة وهذه المدارس قد بنيت على نفقة المسلمين خاصة وقد انشأ المجلس مدرسة للبنات فيها ٧٠ تلميذة منهن ١٤ قبطية ، وقد تنازل المسلمون للمجلس عن ٢٩ كتاباً ولم يتنازل له الاقباط عن شيء وقد أدارها المجلس وفتح أبوابها للمسلمين والاقباط على السواء وفيها الآن عدد غير قليل من الاقباط ، وقد أوجد المجلس دروساً خصوصية في مراكز المديرية لارشاد معلمي الكتاتيب وتلقى هذه الدروس مباح للمعلمين المسلمين والمعلمين الاقباط على السواء أما فيما يتعلق بتعليم الدين فقد اتبع فيه المجلس طريقة نظارة المعارف في مدارسها ، وأما في الكتاتيب فما ينشئه المجلس منها للاقباط خاصة يعلم فيها الدين المسيحي

(مديرية قنا) - اتبع مجلس هذه المديرية في غير التعليم الاولي الطريقة المتبعة في المديريات الاخرى ، أما في التعليم الاولي فالكتاتيب مفتوحة لابناء الاقباط وفي القرى التي يكثر فيها عددهم قرر المجلس انشاء كتاتيب خاصة بهم وتقرر فعلا بناء أربعة كتاتيب مسيحية في جهات مختلفة : وبروجرامها هو بروجرام الكتاتيب الاسلامية مع ابدال دروس القرآن بدروس الديانة المسيحية حسبما يقرره رؤساء الديانة

(مديرية اسوان) - لم ينشىء المجلس كتاتيب الى الآن في هذه المديرية لاللمسلمين

ولا للاقباط ، وفي غير التعليم الاولي الامر على ما هو عليه في المديريات الاخرى

هذا هو بالاجمال طرف من الواقع في مجالس المديريات نعرضه على المؤتمر ليرى ما اذا كان هناك محل للشكوى من تصرف هذه المجالس وهل هناك حاجة لوضع نظام جديد يكفل تعليم ابناء الاقباط أكثر من النظام الذي اتخذته هذه المجالس وهي لم تكد تخطو خطوة صحيحة بعد في سبيل التعليم لجدتها

ومن الضروري أن نلفت النظر في هذا المقام الى حالة التعليم في نظارة المعارف بالنسبة للاقباط وان لم تكن موضعاً للشكوى ولكنها كان من شأنها أن تجعل اخواننا الاقباط راضين بحالهم من غير أن يتعرضوا الى الالحاح في قسمة ضريبة الخمسة في المئة بين المسلمين وبين الاقباط ، تلك الضريبة التي ظهر أن ليس لهم حق في الشكوى من طريقة توزيعها والتي إن لم يأخذوا أكثر من حقهم فيها فلن يغبنوا قياساً على حالهم في المرافق المصرية الاخرى ولو انتظروا الى أن تتم مجالس المديريات خطة سيرها النهائي لكانوا احسنوا صنعا .

* *

يوجد في المدارس الابتدائية لنظارة المعارف ٦٦٣٩ تلميذاً من المسلمين يقابلهم ١٣٤٨ من الاقباط فتكون نسبة الاقباط للمسلمين في التعليم الابتدائي ١٧ في المئة وفي المدارس الابتدائية للبنات ٤٩٣ مسلمة مقابل أربع قبطيات فقط فتكون النسبة ٢٫٩ في المئة وأما المدارس الثانوية فعدد تلامذتها ١٦٢٨ والاقباط ٥٤١ فيكون نسبة الاقباط الى المسلمين في هذا النوع ٢٤٫٦ في المئة - وأما في المدارس الخصوصية كمدرسة الزراعة ومدرسة الفنون والصنائع ومدرسة الصناعة بالمنصورة ... الخ فان نسبة عدد الاقباط للمسلمين هي ٦٢٫٢ في المئة . أما في المدارس العالية فان متوسط نسبة الاقباط الى المسلمين في هذا النوع من التعليم هو ٢٩٫٢ في المئة . وعلى ذلك يكون متوسط نسبة التلامذة الاقباط الى المسلمين في نظارة المعارف ١٧٫٢٦ في المئة فاين تلك الحقوق المهضومة للاقلية حتى يمكنها التصدي للدفاع عنها بالطرق المختلفة

نزيد على ذلك أن من ميزانية نظارة المعارف مبلغ ٣٠٠٠٠ جنيه مسمى ايراد المكاتب الاهلية ، وهذا الايراد هو ريع أوقاف اسلامية أهمها اثنان أحدهما . وقفه المرحوم اسماعيل باشا الخديو الاسبق وقدره ٢١٩١٨ فداناً ليصرف ريعه على ما تحتاجه المكاتب الاهلية . والثاني وقفه المرحوم توفيق باشا الخديو السابق وهو أملاك في القاهرة نصف للمكاتب والنصف للمساجد وهذان الوقفان اسلاميان يجب صرفهما

كشرط الواقفين على المكاتب الاسلامية . ولكن هذا الريع يصرف الآن على عشرين مدرسة تابعة لنظارة المعارف سميت مدارس المكاتب الاهلية وعدد تلامذتها ٤٥٠٥ منهم ٣٥٥١ مسلماً و٨٦٧ قبطياً و٨٧ من ديانات أخرى فيكون التلامذة الاقباط ينتفعون من الوقف الاسلامي الصرف بربع ريعه تقريباً ، ولم يقل المسلمون في ذلك شيئا

زد على ذلك ان كتاتيب أوقاف المسلمين يصرف عليها من ديوان الاوقاف سنوياً ١٦٥٠٠ جنيه وفيها من الاقباط عدد غير قليل ، وكذلك الكتاتيب التي تعينها الحكومة يصرف عليها من ميزانية الحكومة ٢٣٠٠٠ جنيه في السنة وفيها ٣٢٣٩ تلميذا من الاقباط

يبين من هذا الاحصاء المختصر ان حال الاقباط في التعلم سواء كان أوليا أو غير أولي هي حالة يغبطون عليها . فلا يغلو الذي يقول ان هذا المطلب أشبه بالتجني منه بالشكوى الصحيحة

كان العدل أحق أن يتبع لانه خير واسطة للرضى بين العناصر المؤلفة للامة ولقد يكون التسامح من أنفع وسائط التوفيق بشرط أن يعترف بأنه تسامح وأن لا يشعر بأنه غفلة أو استكانة لانه في هذه الحالة يكون عظيم الضرر على المصلحة وعلى أخلاق العنصرين جميعا

العدل يقضي بأنه اذا حق للاقلية الدينية أن تطلب أن يصرف على أبنائها في الكتاتيب بنسبة ما تدفعه من ضريبة الخمسة في المئة مع أن مجالس المديريات لم تملك بعد ميزان خطتها التعليمية ، فقد حق للاكثرية أن تطلب تعليم أبنائها من نظارة المعارف العمومية على نسبة ما يخص الاكثرية من الميزانية العمومية

العدل يقضي بأن نسبة التلامذة الاقباط في المدارس الاميرية لا يجوز أن تزيد على نسبة ما يدفعه الاقباط من الاموال الاميرية

قد تلاقي هذه الفكرة بادئ بدء غضاضة على النفوس لانها تنتج حرمان شخص يريد التعلم من أن يتعلم بحجة أنه قبطي ، ولكن الذي يقدر الاشياء تقديراً صحيحاً لا يلبث أن يقتنع بأن هذه القاعدة بعيدة عن الانتقاد سليمة من الجور

نعم هي فكرة بعيدة عن الانتقاد لان أبناء المسلمين يريدون أن يتعلموا كما يريد أبناء الاقباط أن يتعلموا ولا يمكن ايجاد توفيق عادل بين الارادتين الاقبول الطرفين كل على نسبة ما يدفعه لخزينة المعارف من النقود والا فان الأقباط يدفعون

من الاموال الاميرية على نسبة العشر مما تدفعه الاكثرية فيكون كل ما زاد عن ١٠ في المئة من التلاميذ الاقباط يتعلم مجانا على مصاريف الاكثرية في حين أن أبناءهم أنفسهم محرومون من التعليم الذي يسعون اليه

حقيقة كان ينبغي للاكثرية من باب اكثار عدد المتعلمين أيا كان أن يتعلم أبناء الاقلية في مدارس الحكومة مجانا على مصاريفها - كان ينبغي ذلك لو أن المدارس تقبل عدداً غير محدود فأما وتلامذة التعليم الابتدائي وتلامذة التعليم الثانوي بل تلامذة التعليم العالي كلهم يقفون على أبواب المدارس وفي أيديهم المصاريف المدرسية فترتج أمامهم أبوابها لان المدرسة قد استوفت العدد المقرر لها بل العدد الذي تسعه بالفعل ولا تسع غيره ، أما والحال كذلك فتكون الاكثرية محقة فيما اذا طلبت أن لا يزيد عدد التلامذة الاقباط في مدارس الحكومة عن العشر

ذلك هو العدل ومؤتمر أسيوط يقول ان العدل أحسن الطرائق لحسن التفاهم واستدامة المودة بين العنصرين

فاذا كان العدل داعياً للتوفيق فان التسامح أدعى اليه . وقد ثبت جليا أن الاقباط يأخذون بتسامح المسلمين من ضريبة الخمسة في المئة أكثر من حقوقهم لذلك يكون الطلب المتعلق بتلك الضريبة باطلا ولا محل له

٤ - وضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصري في المجالس النيابية

حتى هذا المطلب فانه على جماله قد كسي هو أيضاً ثوباً من التعرض شوه جماله وحوله عن مركزه العالي وطبعه بطابع بقية المطالب الاخرى. يتلخص هذا المطلب في أن الاقلية الدينية غير ممثلة تمثيلا كافياً في الهيئات النيابية لان أفرادها أشتات في المراكز والمديريات المختلفة فيراد تعديل قانون الانتخاب بكيفية تمكن الاقباط من أن يمثلوا في الهيئات النيابية في مصر

والواقع أن قانون الانتخاب على صورته الحالية لا يستطيع أن يمثل جميع أجزاء الامة في المجالس النيابية ، ونعني باجزاء الامة أجزاءها السياسية لا الدينية ، فان من الاقباط في كل حزب من الاحزاب المصرية التي يمثل كل منها خطة خاصة وان كانت تلك الخطة كثيرة التقارب بعضها من بعض الا أن بينها مع ذلك من الفوارق ما يجعلها متغايرة نوعاً ما فاذا كان المراد تقليد قانون الانتخاب البلجيكي وجب أن لا تكون

الاقليات المختلفة أقليات دينية بل أقليات سياسية كما هو الحاصل في تلك البلاد .

يقولون في ذلك قولا يدل بظاهره على التودد للمسلمين والتقرب منهم ولكنه يشف دائما عن شبه انذار بأنه ان لم توافق الاكثرية على منح الاقلية الدينية نظاما يكفل لها تمثيلها في المجالس النيابية كان الاخاء المصري لفظا لا معنى له والمساواة معنى معطلا من كل نتيجة عملية

على أن الذي يريد الاخاء الحقيقي والمساواة الكاملة بحسب الامكان لا ينبغي له أن يدعو الى بناء كيان سياسي للاقلية الدينية بل يجب عليه أن يمحو الفروق الدينية بالمرة من الاعتبارات السياسية ويدعو المسلمين لانتخاب الكفء ولو قبطياً والاقباط لانتخاب الكفء ولو مسلماً وان يمزج المصالح المشتركة بين المسلمين وبين الاقباط حتى لا يشعر أحدهم في الاعمال العامة بمخالفة جاره اياه في دينه ولا يحاول جمع الاقباط في صعيد واحد لتكون لهم دائرة انتخاب بعينها لان هذا يدل دلالة واضحة على أن الاقباط لا يستريحون ولا يصدقون بالاخاء والمساواة الا اذا مكنوا من انتخاب أقباط مثلهم وذلك بالضرورة قسمة والقسمة تنافي الوحدة . وذلك تفريق للعناصر الدينية المختلفة وتعليم لها على أن تجمد على اعتبار الاعتقاد الديني فارقا قوميا يرجح على المصلحة العامة ، ذلك تنبيه الى أن المسلم من شأنه ان لا يدافع عن مصلحة القبطي والقبطي من شأنه أن لا يدافع عن مصلحة المسلم ، ان سلوك مثل هذا الطريق لا يتفق مطلقا مع ما يقولون به من المساواة ومايناداون به من أن الاقباط مصريون قبل كل شيء

لو أن طائفة المتعلمين في البلد أو بعض بطون هذه الطائفة المتعلمة كالمحامين أو المهندسين أو الاطباء أو المعلمين الخ . أو ان حزبا من الاحزاب السياسية ذا مبادئ معروفة وخطة مرسومة قام فأظهر ان مبادئه ليست ممثلة في الهيئات النيابية وطلب تعديل قانون الانتخاب لكان ذلك واضحا مفهوما . ولكن أقلية دينية تقول بالمساواة وتظهر بالسعي في محو الفروق بين أفراد الامة تجيء في الوقت عينه تصرح بأن لها حقوقا تنافي حقوق الامة وانها لا بد لها من أن تعتبر نفسها أقلية سياسية كالاقليات السياسية البلجيكية لتجعل انتخابها في معزل عن انتخابات المسلمين لانها لا تأمن المسلمين على مصالحها في الهيئات النيابية ، وما أجدر الذي يطلب هذا الطلب الا بأن يقول نحن الاقباط أقلية دينية كنا على مذهب واحد في السياسة يخالف مذهب الامة المتعصبة علينا فحفظ وجودنا السياسي يقتضي أن تكون لنا دوائر انتخاب خاصة.

والذي يقول ذلك يجب عليه أن يعترف بأنه يرمي الى أن تصير أقليته يوما من الايام أكثرية تحوز في يدها السلطة على البلاد . وذلك هو الامل الذي تعيش به كل اقلية من الأقليات السياسية . ولكن لا يستطيع الاقباط بوصف أنهم أقلية دينية أن يصبحوا أكثرية سياسية ما داموا يمزجون الدين بالسياسة وما دام برنامجهم أنهم أقباط قبل كل شيء

اذن يجب علينا أن نصرح بأن هذا المطلب خطأ في أصله ولكن مسئولية الخطأ واقعة على الحكومة كما بينا سابقاً لانها تركت الناس يفهمون أنها تحفظ للاقلية الدينية مراكز سياسية للدفاع عن مصالحها فاما لو كانت تنتخب ما تراه هي كفؤا لاي كرسي يخلو في مجلس شورى القوانين من غير نظر الى أقلية دينية فرة يصيب الانخاب قبطياً ومرة يصيب مسلماً وحينا يكون في المجلس خمسة من الاقباط أو ستة وأحياناً لا يكون ولا واحد . لو كانت الحكومة جرت على هذا المبدإ في مجلس الشورى لما وقع الاقباط في هذا الخطأ العظيم ولما ظنوا ان أقليتهم الدينية يمكن أن تعتبر أقلية سياسية . ولكن ذلك كان

ومع هذا كله فهل يمكن للاقباط أن يشكوا من معاملة المسلمين اياهم في الانتخابات العمومية ؟

انتخب أحد الاقباط في مركز قليوب ونال الانتخاب ضداً كبر أعيانها المسلمين وهو الوكيل الدائم لمجلس شورى القوانين وما انتخبه الا المسلمون

انتخب كذلك بمركز السنطة أحد الاقباط وكل منتخبيه من المسلمين

انتخب أحد الاقباط نائباً عن مركز الصف وعدد مندوبي الانتخاب في هذا المركز أربعون مندوبا ليس منهم أقباط الا أربعة

انتخب أحد الاقباط نائباً عن مركز بني مزار وعدد مندوبيه ٥٠ وليس منهم أقباط الا خمسة

انتخب أحد الاقباط نائبا عن مركز الفشن وعدد مندوبيه ٣٦ وليس منهم أقباط الا أربعة

انتخب أحد الاقباط نائباً عن مركز ديروط وعدد مندوبيه ٥٨ منهم خمسة أقباط فقط

انتخب أحد الاقباط نائباً عن مركز أبو تيج وعدد مندوبيه ٣٧ منهم ستة أقباط. فقط كذلك انتخب قبطي نائباً في الجمعية العمومية عن مديرية الجيزة وليس لها الا نائبان فقط

أحدهما مسلم والآخر قبطي مع أن عدد مندوبي الانتخاب في المديرية ١٧٣ ليس فيهم الا قبطيان

كذلك انتخبت مديرية المنيا عنها نائبين للجمعية العمومية أحدهما مسلم والثاني قبطي مع ان مجموع مندوبي الانتخاب في المديرية هو ٢٧٣ منهم ٢٤ قبطياً فقط

أمام هذه الاحصائية يجب أن يدرك اخواننا الاقباط ونخص منهم الشبان أن علاقات المودة والثقة لا يمكن أن تجد مظهراً أوضح من هذا المظهر لاقناع كل منصف أن المسلمين لا يقيمون وزنا لاختلاف العقائد الدينية فيما يتعلق بالانتخاب فأية مصلحة من مصالحهم قد ضحيت أ كثر مما تضحى مصالح المسلمين بالطريقة الحاضرة للانتخاب؟

على أن المسلمين في الهيئات النيابية الكبرى ليسوا ممثلين تمثيلا يفوق تمثيل الاقباط فان الجمعية العمومية فيها ٧٦ عضوا منهم خمسة أقباط أي بنسبة سبعة في المائة وكذلك مجلس شورى القوانين عدد أعضائه ثلاثون منهم ثلاثة أقباط أي ان نسبتهم للمسلمين تساوي ١٠ في المئة على أن نسبتهم لمجموع عدد السكان لا تتجاوز ٦٫٤٣ في المئة

كذلك في المديريات التي يرشح الاقباط فيها أنفسهم للانتخاب فانهم ممثلون فيها تمثيلا فوق نسبتهم العددية فمديرية الجيزة تمثل أقباطها في الجمعية العمومية على نسبة ٥٠ في المئة وفي مجلس المديرية تمثل الاقباط على نسبة ١٠ في المئة مع أن نسبتهم في تلك المديرية ٢ وثلاثة اخماس في المئة من سكان المديرية . كذلك مديرية المنيا أقباطها ممثلون في الجمعية العمومية على نسبة ٥٠ في المئة لان أحد مندوبيها قبطي . وهم ممثلون في مجلس المديرية على نسبة ١٦ وستة أعشار في المئة ونسبتهم الى المسلمين في هذه المديرية هي كذلك ١٦ وتسعة أعشار كذلك في مديرية أسيوط في مجلس مديريتها عضوان من الاقباط أي نسبتهم في المجلس ناقصة نوعا عن نسبتهم العامة لعدد السكان لان المرشحين فيها من الاقباط على ما يظهر أقل حظا من اخوانهم في المديريات الاخرى ويلاحظ على كل حال أن منتخبي هؤلاء النواب هم من المسلمين

على أي جهة قلب هذا المطلب لا يمكن فهم معناه الاعلى انه مظهر للروح العامة المنتشرة في مطالب الاقباط وهي أن مؤتمريهم يرمون الى حيازة السلطة في أيديهم ليرجحوا كفة الاقلية الدينية على كفة الاكثرية في حكم البلاد

لذلك وجريا على قاعدة أن الاقلية الدينية لا يصح أن يكون لها بهذا الوصف امتيازات سياسية خاصة تطلب اللجنة الى المؤتمر أن يقرر بعدم صلاحية هذا المطلب على الحالة التي هو عليها اتقاء لنتائجه المضرة بالوحدة القومية وبأن الحالة الراهنة قاضية بتعديل قانون الانتخاب بطريقة تتفق مع مقتضيات الحالة الاجتماعية الحاضرة (له بقية)

مختارات

﴿ آراء أديسون في مستقبل البشر السعيد بالصناعة ﴾

لكبراء الرجال نظر بعيد في قياس الآتي على ماقبله وفي سير الاجتماع البشري والعلوم والفنون والاعمال ، وقد يصور أحدهم المستقبل في صور خيالية ، يقول إن حصولها من المحالات العادية ، ثم يقع ماتصوره في زمن بعد زمنه . نقول هذا تمهيداً لنشر مانقلته احدى الجرائد الامريكية من آراء (اديسون) صاحب الاختراعات الكهربائية الشهيرة في مستقبل البشر نقلناه عن جريدة مرآة الغرب العربية التي تصدر في نيويورك قالت ما نصه :

نشرت مجلة كوسمو بوليتان افكاراً منسوبة الى اديسون أمير رجال الاختراع والاجدر بان ندعوها نبوات تقدم خبرات العلم والصناعة : قال مامعربه

ان الاختراع لايزال حتى اليوم في دور الطفولية وسينمو مع الايام فيبلغ درجة الرجولية فالكمال ورجوليته غير بعيدة فسيرى بنو القرن الآتي الآلات المعدنية مثل الدماغ الصحيح دقة وسرعة وتباريه ادراكاً

ولسوف ينظر الناس ان كل الاصناف المراد نسجها وصنعها توضع أصولها في احد جانبي الآلة فتخرج من الجانب الآخر تامة النسج والصنع وذلك كاصناف الاقمشة والازرار والخيوط والورق فانها تصبح بدلات تامة خارجة في صناديق من ورق معدة للاستعمال

وهكذا قل عن الكتب فانها ستغادر الآلة مجلدة تجليداً متقناً . والقطع الخشبية توضع في الطرف الواحد قطعاً متفرقة فتظهر من الطرف الآخر رياشاً ومفروشات كالكراسي والمقاعد والمناضد وهلم جرا

ومن نبوات اديسون أن الاكثار من معدات القتال سينتهي إما الى ثورة عمومية أو الى سلام شامل وقد يحدث قبل صحة هذه النبوة حرب واحدة أو أكثر

ان كل حكومة لاتبالي بمراعاة السنة الطبيعية القادمة تسقط بايدي شعبها الذي

بيان أمير الألاي صادق بك

(في الدستور والجيش والسياسة العثمانية)

(والماسونية والاتحاد والترقي)

نشرنا في الجزء الماضي مقالا ذكرنا فيه بعض ما علمناه في الاستانة عن هـذا الرجل العظيم فنقله المقطم الا قليلا منه والمؤيد برمته وعدته بعض الجرائد الافرنجية من احسن ما كتب في بابه . ثم جاءتنا جرائد الاستانة بمقال لصادق بك نفسه يدل على صدق قولنا ورأينا فيه وفي أحوال الدولة ، ونشرت ترجمته في بعض الجرائد المصرية فرأينا أن ننقله عن المؤيد بتنقيح لفظي قليل وهو هذا :

ألجأتني الضرورات الى ترك السكوت الذي حاولت ان ألتزمه حتى الآن أنا جندي . ولذلك أربأ بقلمي عن زخرف القول والتفنن في ابداء الرأي والذي دفعني الى كتابة هذا البيان الصادق رغبتي بقطع الاقاويل المبنية على اشاعات مؤسفة تتعلق بشخصي مباشرة وليس بينها وبين الحقيقة صلة أو شبه صلة .

لا أبحث هنا في مكانتي من انقلاب ١٠ تموز (٢٣ يوليو) وحسبي أن أقول ان العثمانية لا تحيا الا بالدستور ولا ترتقي ارتقاء صحيحاً الا بالاتحاد ، وإن اليوم الذي يعلن فيه افلاس الدستور هو الذي تقبر فيه العثمانية ، وإن العامل الادبي الذي دفعني قبل الدستور الى الدستور هو العامل الذي يدفعني اليوم الى حبه لغير ماغرض ولا فائدة ، وإن قوام العثمانية الناهضة منوط بفكرة الاتحاد والترقي السامية وبالجمعية التي تمثل هذه الفكرة تمثيلا أدبيا . ومن الواجب على العناصر التي اضعف الاستبداد حياتها أن تتمسك أكثر من غيرها بهذا النظام وتنزله منها بمنزلة الروح . ومن الواجب على الجمعية أن ترتقي في دائرة النواميس الطبيعية بأن تكون جمعية العثمانيين من غير تفريق بين أجناسهم وأديانهم ، ومادام في أندية الجمعية وفي لجانها المركزية رجال رسميون فالجمعية تكون بمنزلة حكومة ثانية وفي ذلك مافيه من الضرر وقطع الامل من المستقبل .

يجب على الجيش العثماني أن يكون في معزل عن المناقشات الشخصية ومنافساتها ومايتولد عن ذلك من المذاهب السياسية . وأن يكون للجيش مكان فوق الاحزاب يمثل الصلة

الجامعة بين العثمانيين ليكون محترما من الجميع ، وبتعبير آخر يجب أن لا يكون الجيش مرتبطا بحياة وسياسة أشخاص معينين بل بحياة الدستور الاساسية وهكذا يجب دائما أن يكون

ان فكرة الاتحاد والترقي هي روح الجيش كما هي روح السلطة والضامن لتحقيق هذه الفكرة السامية هو الجيش العثماني الذي هو أشد جيوش الارض ميلا الى الديمقراطية (او قال تمثيلا للديمقراطية أي حكم الامة لنفسها)

الجيش مُظاهر لجميع العوامل الفكرية التي لها مساس بفكرة الاتحاد والترقي مظاهرة مطلقة لاشرط لها ولا قيد . كذلك أنا أعتقد بصفتي واحداً من هذا الجيش وبصفتي فردا تهمه عثمانيته

لم يكن الانقلاب العثماني نتيجة لجهاد دهاة كبار يمثلون الحياة الفكرية في السلطنة كما هي الحال في غاريباري وكافور وأمثالهما . وانما كان انقلابنا ثمرة قوة كبيرة تجمعت من قوى رجال صغار اجتهدوا في احداث هذا الانقلاب. وكان عهدنا بهؤلاء المجددين الصغار أن يبلغوا أمانيهم بسرعة وسهولة اذا هم لم ينقصوا من قوتهم .

يزعم نفر منا أنهم يمثلون قوة الانقلاب بأشخاصهم . ولكن ما أشبه هذا بحال بولونيا في وقت احتضارها . ومتى ظهرت قوة الاشخاص في مجموع الحكومة ظهرت معها عوارض الفوضى في السلطنة . وما التبدلات الاخيرة (١ التي كانت نتيجة فعلية لأقوال طلعت بك في مأدبة (بكقوز) الا أساس الاصلاح المطلوب . ولما كان كاتب هذه السطور من الضباط الذين شغلتهم واجبات الدستور بشؤون السياسة كنت أنظر بعين الاهتمام الى الجيش وضرر هذه الصلة التي يمت بها الى الجمعية منذ زمن طويل . ظهرت العثمانية اليوم بمظهر أمة عسكرية قبل كل شيء . ولذلك كانت مسألة الجيش في العثمانية المؤلفة من عناصر مختلفة هي المسألة الحيوية . وسيكون اتحاد العناصر أول ثمرة لفكرة الاتحاد والترقي . على ان هذه الثمرة لا يمكن أن تلاشيها جامعة الشخصيات في وقت من الاوقات لان الاشخاص معرضون للانتقاد والمؤاخذة بحسب نتائج أعمالهم مهما كانوا من ذوي النية الصالحة وهم أيضاً مهددون بالسقوط السياسي جزاء خطأهم في التدبير وفي الادارة . ونتيجة ذلك أن الجيش اذا كان آلة في يد رجال السياسة أو اعتقد الناس أنه تلك الآلة لا يلبث أن تنفصم عروته

---

١) يعني الاصلاح الذي اشرنا اليه في مقالة الجزء الماضي

الجامعة ويصبح في جهة الاغراض والتحزبات . « وأقول أيضاً من قبيل الاستطراد ان دور التحزب الذي يمثله ضابط واحد لا يقل ضرره عن دور التحزب الذي يمثله الجيش كله »

وان قيام بعض الضباط بوظيفة مندوب عن الجمعية أو بأي وظيفة أخرى بدون أن يستقيل من الجندية مخل بأخلاق الجيش ومفسد لنظامه

حب الوطن والغيرة القومية هما مصدر شجاعة الجيش المرابط على الحدود للدفاع عن البلاد والمقيم في البلاد للمحافظة على الدستور . ومن هذه الوجهة لا يجوز أبداً أن يكون للجيش العثماني صلة باللجان الماسونية أو غيرها . قد تكون الماسونية نافعة للانسانية ، ولكن ذلك لا يمنع وجوب بقائها في دائرتها الخاصة. وليست مقاومتي للماسونية أكثر من الاجتهاد في منعها من الانتشار في صفوف الجند وأنا احترم كل عامل من العوامل النافعة للانسانية ولكن يجب ان لا يكون لهذه العوامل علاقة بالسياسة . وقد علمتنا التجارب أن أجمل محافل الانسانية عنواناً كانت تجيء نتائج أعمالها معكوسة متى لعبت بها أصابع السياسة، وان الغرباء ملوني الايدي الذين يتربصون بنا الفرص لا يتأخرون ساعة عن الاستفادة من مواضع الضعف فينا . وخلاصة القول اننا ادركنا الآن كيف يصعب على أناس مثلنا يؤلفون جامعتهم من جديد أن يحلوا مشاكلهم المنزلية ويعيدوا مياه الصفاء الى مجاريها ..

على انه ليس من الصواب في شيء أن نجاري العامة في افكارها من أجل خطة فلسفية تنتصر لها . وإن الذي يفسح المجال للتعصب ويجعل للعامة سلطة الحكم هو الذي يحتفر لهذه السلطة قبرها ، ومن الواجب على كل ذي رأي سليم أن يجتنب طرق الأبواب التي تروج فيها سلطة العامة ، فبينا يكون المختلفون منهمكين في في اختلافاتهم يتقدم المترقبون للفرص ليستفيدوا من تلك الحال المساعدة لهم بطبيعتها وعندئذ تضيع الغاية وينقلب القصد

إن في مسألتنا الاخيرة وما حام حولها مع الاراجيف والسيآت عبرة للمعتبر . وما كان أسهل حل المسألة بالسكون لولا وجود تلك الاراجيف . ومن دواعي السرور أن جماعات الحزب ائتلفت بسرعة وأصبح ائتلافها خطوة في سبيل الارتقاء . وان كل تفرد وسلطة يظهران في بلادنا عن علم أو غير علم لا يأتيان بنتيجة غير القوة الشخصية،

واذا رأى الجيش أن رجال الانقلاب قدضحوا أنانيتهم واتقوا التفرد والسلطة وكانوا حول مبدأهم اخوانا فهو لا يتردد في القيام بواجباته المادية والادبية نحو وطنه وما ذلك بالامر العزيز

أنا كتبت (مذكرات) في أسباب استقالتي من وظيفة (مرخص مسؤل) لجمعية الاتحاد والترقي وعن حالة الجمعية الآن وقبل الآن وسأنشر ذلك متى حان حين نشره . والذي أحاوله الآن الاحتجاج على الذين اتهموني - بدون انصاف - بأني رجعي ورموني بغير ذلك من التهم ، وبينما أنا أكتب هذه النشرة راجيا فيهامنهم باسم سلامة الوطن ان يكفوا عن هذه السفاسف ـ كنت أحمل بين جنبي نفس جندي صمم على طلب التقاعد من وظيفته (الاحالة على المعاش) وأملي بكل أخواني الضباط الذين لهم صلة فعلية بانقلاب ١٠ تموز (٢٣ يوليو) وامتزجت حياتهم العسكرية بحياتهم السياسية والذين يشتركون بأعمال غير أعمالهم العسكرية أن يستقيلوا من الجندية وينصرفوا بعد ذلك للسياسة بالشروط المشروعة أو أن يتركوا كل علاقة بالاعمال السياسية ويتفرغوا لواجباتهم الجندية تمام التفرغ . وفي رأيي أنه قد حل وقت انتباه أصحاب المقامات العالية لتنفيذ هذا القسم من مواد القانون

الاميرالاي
صادق

(المنار) حاصل ما كتبه صادق بك (١) أن الانقلاب الذي نقل الدولة الى الحكم النيابي الدستوري قد كان من عمله وعمل من كان معه من صغار الضباط وأثر فكرة سارية في جماعة من دهماء الناس ولم يكن بتدبير بعض الزعماء والكبراء كفاريبالدي الايطالي

(٢) أن إيهام الناس أن الانقلاب قد أحدثه بعض الزعماء المعينين فيجب أن يكونوا هم كفلاء الدستور واصحاب السلطة هو خطأ وخطر على الدولة

(٣) ان فكرة الاتحاد والترقي (أي المعنى الذى يفهم من هاتين الكلمتين) يجب ان تبث في جميع الامة لانها عنوان لكل ما نحتاج اليه في حياتنا الجديدة وهو ان تتفق الشعوب والاقوام في المملكة العثمانية وتتحد على القيام بما ترتقي كلها به من العلوم والاعمال . ومن الخطأ الضار ان يجعل عنوان الاتحاد والترقي اسما لحزب أو جماعة من الامة يكون منهم كبار الحكام ويكون لهم أندية خاصة يعرفون بها ويمتازون على غيرهم

﴿ شيء من مناقب صادق بك منقول من خراطر نيازي ﴾

نشرت جريدة (إقدام) التركية في الآستانة بعد مقالة صادق بك نبذة من كتاب (خواطر نيازي) في صفة صادق بك وعمله في الانقلاب . نذكر ملخصها وهي من حديث كان بينه وبين أحد الاعضاء وكان نيازي قبل ذلك ينفذ الاوامر التي ترد اليه من صادق بك ولا يعرف مصدرها حتى عرفه في ذلك اليوم وتشرف بتقبيل يده ولحيته ، قال

« ان (صادق بك) وحيد بين الوحيدين ، هو صاحب السيف والقلم ، وهو الكاتب لأهم البيانات والاوامر والمصور لأهم التدابير (في أمر الانقلاب) . ان الاعضاء المبجلين في هيئة الادارة الذين عاشرتهم مدة طويلة يجتهدون بالآراء الصائبة الصادرة من آثار كرامات البك الموما اليه . ان هذا الرجل المحترم شخصه جدا عند الهيئة المركزية في مناستر قد سخر الافكار العامة بكمال درايته وبأخلاقه . وكان يجذب الميول وانواع الشعور العمومية دائما الى نقطة واحدة ويسوقها الى اخلاص لا يطالب بمكافأة . أما حبيب بك ونخري بك وضيابك والمصور ابراهيم شاكر افندي فلم يتأخروا عن الامتثال (لصادق بك) المتواضع الذي كان في زمن الاضطراب تمثالا مجسما للشجاعة وكان كالاسد المهيج . هؤلاء الاربعة كانوا يضعون تواقيعهم على مقررات مهمة هي جراءة بين الجرآت . واذا بدا لهم أقل احجام في سبيل الانفاذ بادروا الى المخاطرة في ذلك بأنفسهم

« يوم قدوم شمسي باشا استولى على جميعنا اضطراب خشية . لانا أمعنا النظر في مقدار جهل الباشا واستبداده وظلمه وتمرده ولا سيما كونه محاطا بجماعة من الالبانيين في زي الجنود لا يعرفون شيئاً ويفدون الباشا بأرواحهم . وبقينا في وجل من احتمال ظهور حرب داخلية فأعملنا الفكر في ألف تدبير لمحو وجوده ورأينا في انفاذه ألف عائق . فأصر (صادق بك) وضيا بك وحبيب بك على وجوب إزالة هذا الوجود السام في أثناء تأدية وظيفته . ولكي لا تضيع الفرصة بالمناقشة والمذاكرة عرضوا أنفسهم وفي دقيقة الاضطراب وضع كل منهم يداً على القرآن المعظم الشان ويداً على مسدسه وأحكموا الميثاق بهذه الدرجة من الجد »

(ثم ذكر كيفية تنفيذ ذلك بيد ملازم فدائي وقال)

«هؤلاء ياعزيزي هم الذين يقومون بوظائفهم في هيئة ادارتنا وهم مشغولون جداً . فلا يجدون وقتاً للاكل ولا النوم . ولقد ظلوا كغرباء عن هذا السرور العام والفرح الملي ، لان الوظيفة أهم وأقدس ، ولهذا لا يراهم أحد ولا يمكنون أحداً من رؤيتهم ، ولكنكم ما دمتم ترغبون كثيراء هلموا أذهب بكم الى الدائرة التي يشتغلون فيها اليوم بايفاء وظائفهم في منزل (صادق بك)

ــ أشكركم فلنبادر سريعا .

« وأخذنا نمشي ونتحادث ، فأطال البحث في تمكن (صادق بك) من العلوم الدينية والفلسفية والفنون العسكرية والادبيات واطنب في وصف دهائه وعشقه للحق والحقيقة وهيامه بها وبمكارم أخلاقه وثبات طباعه واتساع قدرته وفرط توكله وشدة شجاعته وكمال تواضعه ،

« وقص علي كيف خدم اعضاء الجمعية في حال وهنها لما انتسب اليهم أهل بيته وما أظهرته من الاخلاص بنته العذراء وزوجته المحترمة ، وجعل يعد علي أمثالا كثيرة من هذا الاخلاص حتى وصلنا الى المكان المقصود قبل أن يتم كلامه، وطرقنا الباب فادخلونا الى حضرة الهيئة المحترمة في الغرفة المظلمة التي يجتمعون فيها ، فقبلت يد المشار اليه ولحيته » اه المراد منه

﴿ بيان هادي باشا الفاروقي ﴾

(في وظيفة الجيش ومسألة تداخله في السياسة)

جاء في جريدة الحضارة الشهيرة التي تصدر في الآستانة بالعربية مانصه على أثر الاختلاف الذي ظهر أخيراً في حزب الاتحاد والترقي لقي محرر جريدة روملي القائد الباسل هادي باشا الفاروقي مفتش الفيلق الثاني في الروملي وسأله عن مداخلة الضباط وعلى الخصوص ضباط الفيلق الاول في هذه الاختلافات فقال انه لم يكن له علم قطعي بذلك ثم صرح بما يأتي

"ان وظيفة الجيش والاشخاص الذين يتألف منهم هي أن يكونوا دوما متأهبين للمدافعة عن الوطن وان يواصلوا السعي بكل عزم وغيرة الى الكمال . ولاجل أن يصل الجيش الى هذه الغاية المقدسة لابد أن يكون كتلة واحدة مهيبة ولذا تكون مداخلة بعض الضباط بشؤون السياسة مضرة جداً اذ أنها تولد الحرص والاختلاف وتخل

برابطة الجيش وتضر بوحدته . وانا من جهتي اقبح هذه الافعال . واذا كان يوجد ثمة من يتداخلون هذه المداخلات فهم لاشك خونة جهلاء لانهم يكونون بذلك حطوا من مقام الجيش الذي هو أرفع وأعلا من اختلافات الاحزاب ومبارزات السياسة . ان وظيفة الجيش العليا هي الذود عن الوطن والمحافظة على الدستور (المشروطية) عند الاقتضاء لاغير . واذا ظهر خلل في احدى شعبات الادارة فأمرها يكون موكولا الى غيره . واني أقول مكررا إن ادخال فكر السياسة في الجيش أمر لايعبرعنه الا بالجهل والخيانة والجناية ورغماً من الواقع فاني موقن بان الجيش العثماني عار عن هذه الشائبة وانه اذا كان يوجد ثمة شيء من هذا القبيل فالمرجع الايجابي يتوسل لازالتها

«وقال المحرر ان هذا الشهم المقدام العالم العامل بوظيفته العسكرية كان يتكلم هذا الكلام والشرر يتطاير من عينيه كانه واقف أمام عدو هائل .»

﴿ آلمانيا والعالم الاسلامي ﴾

(مترجم عن جريدة الوقت التي تصدر في أرينبورغ من روسيا)

إن العلاقة الودية التي وطدت بين آلمانيا والعالم الاسلامي قد أقامت الجرائد الروسية وأقعدتها واوقعتها في الشبهات الكثيرة حتى أن سوء الظن جعل جريدة « نوفيه فريميه » تحسب له ألف حساب واضطرت أن تبث ما في ضميرها . وهو الخوف من أن آلمانيا الآن قد أوشكت أن تضع قدميها على تركستان الشرقية المحدودة بحكومات الصين وروسيا وانكلترا ، واذا حصل هذا فكأنها قد وضعت قدميها في وسط حبل ممتد من مسلمي الصين الى الحكومة التركية الاسلامية الحرة . وتقول إن مذهب كونفوشيوس المشهور في الصين سينقرض ويقوم مقامه الاسلام فتصير حكومة الصين حكومة إسلامية ثم لا تلبث إلا قليلا حتى تعلن حرباً عواناً مسلحة بالتعصب الاسلامي فتترك العالم المتمدن في حيرة كبيرة ودهشة شديدة . وهي تستنبط هذه الاحكام الغيبية من أقوال مكاتب جريدة « التيمس » في « بكين » عاصمة الصين الدكتور « موريسون » الذي ساح في آسيا الوسطى كلها . وله اطلاع تام على أحوال مملكة الصين . يقول هذا الدكتور إن دين الاسلام أخذ ينتشر في الصين بسرعة غريبة وان اتفاق المسلمين واتحادهم فيها قوي جداً .

ويورد على ذلك أدلة واضحة عنده، فهو يقول إن القاطنين في الصين من تركستان في ولايات غانسو ، وصي ، وجو ، ووان ، وبون ، والانان ، كلهم مسلمون . ويقول في كلامه المؤكد عن شجاعتهم وبسالتهم : إننا لا ننسى أبداً « يعقوب خان » الذي كان في تركستان ، وجعلها في سنة ١٨٨٦ حكومة مستقلة تماماً ، فأقامت بذلك حكومة الصين واقعدتها، ثم جعلتها في حالة لم ترض بها حكومة الصين ولم ينشرح لها صدرها ، ثم إن حادثة قبيلة « بانتاي » المشهورة بالشجاعة التي استولت في ذلك الوقت على القسم الغربي من ولاية (يون – نان) وجعلت مدينة (إلافسو) مقرا للملك ليست مما ينسى بل مما يبقى ذكره مركوزا في الاذهان على ممر الدهور والاعوام .

ثم يقول : نعم ، نحن إذا نظرنا الى حالة المسلمين الحاضرة في تلك البقعة نجدها الآن في هدوء وسكون تام . ولكن اذا لاحظنا العلاقات والارتباطات التي حصلت الآن بينهم وبين مسلمي تركية نجدها تزيد وتتقوى يوماً فيوماً . وهم الآن قد تنبهوا كثيراً عن ذي قبل ، فكثير منهم يقصد بلاد المدينة لاجل التعلم فيها ، أو للسياحة فقط فيأتي منها لابناء جنسه بمعلومات جمة ويبث فيهم روح المدنية والترقي، وهو يؤيد قوله هذا بأقوال العلماء الكبار من الروسيين « ففاسيليف » و « آ. ابواتف » الذين لهم إطلاع كثير على مملكة الصين : وإنهم أيضاً يتشاءمون كما يتشاءم

فبناء على رأي ذلك الدكتور (موريسون) ان آلمانيا قد علمت بتلك الاحوال ولم يشعر بها أحد قبلها ، وعزمت على أن تضع قدميها على « كاشغر » أي على تركستان الصيني ، ومن يضع قدميه هناك يمد الحبل منه إلى الطرفين طرف تركية من جهة وطرف الصين من الجهة الاخرى

ومما يوقع تلك الجرائد الروسية في أشد الشبهات ويضطرها الى اختلاق ما يسعهم أن يختلقوه هو ما كان قبل الآن من جعل تبعة الدولة العلية في الصين تحت حماية سفير فرنسا ، وإقامة سفير آلمانيا مقامه في هذا الحين ، ويدل على ذلك أن قونصل آلمانيا نشر من مدة قريبة جداً إعلاناً قال فيه : بناء على القرار الذي حصل بين تركية وآلمانيا يجب على كل من يقيم في الصين وهو من تبعة الدولة العلية أن يكون تحت حماية سفير آلمانيا ، وفي ولاية « كاشغر » أصدر أمراً باحصاء عدد تبعة الدولة العلية التي كانت تقيم في ولاية كاشغر وتسجيل أسمائهم ومحل إقامتهم فيها

فجريدة (نوفيه فريميه) تستنتج من ذلك النتائج الآتية : تقول ان ثقة الاتراك بالنمساويين أقوى من ثقتهم بالفرنساويين واعتبارهم لهم أيضاً أشد من اعتبارهم

للفرنساويين ، فالنمساويون هنا احرزوا قصب السبق في أستامبول ولهم القدح المعلى في الشرق الادنى والاقصى أيضاً . ثم تشرع في تعداد الفوائد التي تحصل للنمسويين من جراء دخول تبعة الدولة العلية في الصين تحت حماية سفير ألمانيا . وفي ظنها أن النمسويين يستفيدون أولا انهم يطلعون على أحوال المسلمين هناك في الصين والهند وسائر روسية في اسيا الوسطى . وثانياً أن حكومة ألمانيا تنتهز فرصة حصول المشاجرات والمنازعات التي تصدر أحياناً بين حكام وعمال الصين وبين تبعة الدولة العلية لتداخل في أعمال حكومة الصين . وثالثاً انها تجذب قلوب مسلمي الصين الى نفسها . ورابعاً أنها توسع تجارتها في الصين الغربي وفي تركستان بواسطة أغنياء المسلمين الذين يجرون فيهما . وخامساً أن نفوذ ألمانيا يقوى بذلك في استامبول أكثر من ذي قبل

**

ثم ان هذه الجريدة تنتقم في عدد آخر من ألمانيا وعالم الاسلام جميعاً فقد رسم فيها الرسم الذي اصفه بما يأتي : صورة الارض فيها كتاب مكتوب عليه « الاسلام » وعلى ذلك الكتاب رجل محدودب في زيّ المسلم : له اربع قوائم كالدواب وعلى ظهره صورة رجل نمسوي الشكل راكب عليه ، إحدى قدميه في طرف الكتاب والاخرى في طرفه الآخر ، وفي فمه « مشتوك » يدخن به . وتحت ذلك الرسم مكتوب كذا : « ليس الآن في الدنيا شرقان يسميان الاقصى والادنى ، فالآن قرب الشرق الاقصى والادنى واتصلا فصارا واحدا ــ أي شرقا أدنى فقط »

فهذه الجريدة تمثل بذلك ألمانيا قد سخرت عالم الاسلام أجمع وجعلته مطية لها الى مقاصدها والمسلمون قد اغتروا بمخادعتها لهم

ثم ان اجتماع جمهور عظيم في الآستانة منذ زمن غير بعيد واحتجاجهم على روسية في شأن إيران ، وعلى اظهار محبتهم لاهل ألمانيا وعلى الرجاء في حمايته لعالم الاسلام قد هيج خواطر جرائد روسية وانكلترا تهيجاً شديدا حتى أقامها وأقعدها . وقد تورمت منه جريدة « روسكي اصلوفا » وقالت « ان المسلمين الآن يريدون أن يعرفوا اهل ألمانيا خليفة لهم » واستهزأت بالمسلمين بعباراتها السخيفة الممزوجة بالمغالطات الدينية كقولها « هل يجوز للمسلمين أن يجعلوا لهم سلطانا بروتستاني المذهب ؟ وهل يسمح لهم دينهم بذلك ؟ »

كأن أصحاب هذه الجرائد يظنون أن عالم الاسلام الذي يبلغ عدده ثلاث مئة مليون نسمة ليس لهم عقل كعقولهم يميز به صديقه من عدوه الألد ، ولا لهم فكر

يتفكرون به فيما يستفيدون منه ، ليسوا كما تظنون يا أصحاب هذه الجرائد ! بل من بينهم من يعرفون مايضرهم وما ينفعهم ، وليسوا محرومين من قوة الادراك التي يميزون بها الجيد من الرديء والخبيث من الطيب ، فاذا نظر عالم الاسلام الى روسية بصورة غير صديق له فهذا ليس من المسلمين بل من الجرائد المشوقات والمحاولات لتضليل الحكومة الروسية ولاثارة خواطر المسلمين وغيرهم من الملل غير ملة الروس، مثل جريدة روسكي أصلوفا ، ونوفي فرميه ، اللتين من شأنهما أن تدوسا النعم التي أمامهما تحت أقدامها وأن تحاولا صيد ماهو في الهواء . اه

(المنار) بعد ان جاءتنا جريدة « وقت » بهذه المقالة انقطعت عنا وبلغنا ان الحكومة الروسية قد أقفلتها هي ومجلة (شورا) وهما خير صحف مسلمي التتار في روسية وقد علمنا انماذكر في الجرائد من شدة ضغط الحكومة الروسية على مسلمي التتار في بلادهم من إقفال جرائد ومدارس فسببه سياسة الآستانة فان بعض المفتونين فيها بالاماني الجنسية يلغطون باظهار الطمع في اتحاد الترك العثمانيين بتتار روسية وأهل تركستان عامة وجعلهم دولة واحدة قوية ، وقد نصحنا لهم في مقالات (العرب والترك) التي نشرناها في جرائد الآستانة أيام كنا فيها ان ينزعوا هذه الامنية من مخيلاتهم ، ويحرموا ذكرها على ألسنتهم وأقلامهم ، لان اظهارها يضر بالدولة وبأولئك المسلمين بما يحمل روسية على العود الى سياسة الخشونة مع الدولة ، وعلى الحذر من مسلمي بلادها والضغط عليهم ، وأين قوة الدولة من قوة روسية والصين الحاكمتين على أ كثر من ثلث البشر

لروسية العذر في الحذر والاهتمام بتلافي هذا الامر وكيف ترضى أن يطمع الترك في بلادها وهي هي التي لم يمنعها من اخذ القسطنطينية الا أوربة . وقد زاد حذرها ماهدرت به شقاشق المتهور عبيدالله مبعوث آيدين في الانتصار لدولة فارس عليها بالاستغاثة بماهل الالمان ، وماكان يخشى من مساعدة ألمانية والنمسة للترك على نفوذهم المعنوي الى تركستان ليتخذوه وسيلة لترويج تجارتهم وسياستهم فأمثال هؤلاء الجاهلين بالسياسة من رجال الآستانة يجنون بغرورهم على دولتهم وبلادهم وعلى اخوانهم المسلمين من غير بلادهم، وما يدرينا أن تلك الشقاشق كانت من أسباب في اتفاق روسية وألمانية في سياستهما المشرقية بما كان في اجتماع القيصرين في بوتسدام ، وهو اتفاق علينا وعلى اخواننا الفرس

واني أنصح لمسلمي روسية أن يتقوا فتنة السياسة ولا يخدعوا لبعض الاغرار في الآستانة ويجتهدوا في ترقية أنفسهم مع تأمين حكومتهم في الظاهر والباطن من التحيز الى حكومة أخرى فان تحيزهم يضرهم ويضر من يحيزون اليه ودولتنا عاجزة عن حفظ بلادها وادارتها وعن إرسال قاض شرعي الى مسلمي جزيرة كريد التابعة لها باعتراف الدول (ولكن بالقول دون الفعل) فكيف تستطيع أن تمد نفوذها الى بلاد دولة أقوى منها ؟

ولو جعل مسلمو التتار وجهتهم العلمية مصر دون الاستانة لكان خيرا لهم فقد أخبرني غير واحد منهم في الآستانة أنهم هنالك في موضع الريبة عند سفارة حكومتهم وان جواسيس السفارة منهم منبثون بينهم، فهذا هو سبب ضغط دولتهم عليهم، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ،

أما ألمانيا فلا نعرف لها الاحسنة عملية واحدة في مساعدة دولتنا وهي تعليم جيشها وتنظيمه ، وقد سأل بعض المفتونين من رجالنا بفرنسة ان تسمح لضباطنا أن يتمرنوا في جيشها فأبت. ولو أخلصت دولة أوربية قوية لدولتنا وللاسلام وعرفت كيف تستفيد منا وتفيدنا بالاخلاص لبذت أوربة ودول الارض كلها

﴿ شعر أعراب الحجاز في هذا العصر ﴾

لما عزم الشريف أمير مكة المكرمة على تجهيز جيش من العرب الى اليمن لمساعدة الدولة على السيد الادريسي في (عسير) ارسل هذه الانشودة يستفز بها قومه ، وقيل ان بضعة أبيات من أولها من كلامه وباقيها من كلام الشريف زيد بن فواز امير الطائف

كيف البصر يا آل حسن (١) وآل ركات	نزالة المشرق ومن في تهامه
نسمع طواريكم (٢) تسوّن خيرات (٣)	ومن لا مشأ يغشاه منا ملامه

١) اي يا آل حسن ٢) اخباركم الطارئة ٣) استخارات في المشي مع الامير وكان يمكن أن يقال « تسوى استخارات » كما يقال « مشى » بدل « مشأ »

وان حامن المدود كم جا وكم فات والعمر له في اللوح خط العلامه
نصا [1] معادينا على كيف ماجات والموت دون العز ما به ندامه
من هو تعنى دارنا بالدبارات [2] جينا وما هي لـه ولا للكرامه
ما دون من ينصا [3] بلدنا تعلات ولا نستمع من قال شور الرخامه [4]
حنا [5] عمدناهم بخيل وسلات والذل ما سر الظبي وانعامه
مرساكداده [6] دونه الموت حومات ما يخرجه منا يكون القيامه
احيا لنا الله عزنا بعد ما مات احياه ابو فيصل لنا بالقرامه [7]
ما عادا به مقعاد فيه وقيلات وانتم لكم عادات يهل [8] الشهامه
قلته بعد ماشفت فيكم عدالات والي يحسب يدرق فالجهامه [9]
ترى مقابلكم معادي وشمات يبقى عليكم دووت النهزامه [10]
لاتكربون [11] من الحكايا والاصوات مغزا تهامه كسب ولا سلامه
مع شيخكم فالقديه والخطيات حظه جلا عنكم وعنا الغمامه
حنا على الدين الحنيفي بالاثبات مراقبين الشرع بالاستقامه
للخارجين عن الطريقه علامات ننبيه شيطان الفتن من منامه
وعقول جهال العرب راحت اشتات فرق شرايط دينهم من كلامه
دخل عليهم بالزخارف وحيلات يقول أجدد دينكم عن عدامه

---

١) اي تقصد ٢) اي التدابير والحيل* ٣) اي يقصد ٤) اي الدنية
٥) اي نحن ٦) اي قتاده جد الاشراف ولعل الكاتب هو الذي حرف فهم ينطقون بالقاف مرققة كالكاف المفخمة أوالجيم المصرية ٧) اي الشهامة والفتوة
٨) اي يا أهل ٩) أي الضباب والظلام ١٠) لعلها * دورة الانهزامه *
١١) اي تشدون

حاشا وكلا ديننا بالحقيقات مازاعه اضغاث الكرا من حلامه

جانا من القرآن تفصيل آيات نعرف بها حله ونعرف حرامه

الدين منا منبعه بالرسالات نحن مقاديه ونحن خطامه

من هو تمنا عندنا للامارات يا كم قصرنا رايم عن مرامه [1]

وهذه قصيدة عقيل لما قدموا مكة المكرمة وتلقاهم الامير ليغزوا معه الى اليمن فتقدم شاعرهم ليحمسهم ويحمس الامير ويجاوب الادريسي وقال :

يا الله انك تعز الدين والصادقين والماري دينه وانا ناصله

ربعنا للحرايب كلهم مشتهين مع الذي يحب العز والطايله

سيدي عزنا من عزكم كل حين محمد الله بعز الدين ومواصله

سيدي ذكر راعي اليمن [2] لا يبين اشهر السيف وتأتيك العرب صايله

ناض برق من القبله وبه سعين هل وبله على صبيا وانا اخايله

العبادل أهل الطولات في كل حين يامراعم فحول قريش ذي عايله

عشيئة الله زوره ان كان هم منكرين ناصل الذي بدع بدعه وهي مايله

كل ساحر نبطل سحره الذي يبين ناصل الذي يقول الملح ما يا كله

يا الله انك تعز أشرافنا الناصحين هم أهل الحكم والعليا أهل الطايله

جوك الاشراف في ظل سيدنا حسين والسعد مشتهر في بيرقه شايله

سار والنصر يتليه والله عوين نسألك يارفيع السماء تأصله

---

١) أي كم رددنا قاصد عن قصده ٢) راعي اليمن سائسها وصاحبها

باب الأخبار والآراء

المؤتمر المصري

في ٣٠ من ربيع الآخر - ٢٩ ابريل انعقد المؤتمر المصري تحت رياسة شيخ وزراء مصر وعظمائها مصطفى رياض باشا في المكان الافيح المعروف (بلونابارك) من مصر الجديدة ، وهو ملعب كبير يسع بضعة آلاف رجل ، وقد زين بالاعلام واقيم للرئيس وكبار أعضاء اللجنة التحضيرية فيه محراب واسع وجعلت المجالس فيه اقساما مرتبة منها مكان لوجهاء العاصمة ومكان لاصحاب الصحف وامكنة أخرى لاصناف الاعضاء ووفود المديريات يعرف كل قسم منها بلوح مكتوب عليه ما يدل الداخل على مكانه . وقد افتتح الرئيس المؤتمر بالخطاب الآتي

أيها السادة : دعوناكم وكلكم من أهل المكانة وأصحاب المنافع وذوى الآراء والكتاب والمفكرين وكلكم ممن تهمهم مصالح البلاد العليا وكلكم من يغار على رقيها وتوثيق روابط جامعتها لتتشاوروا في بعض المسائل العمومية الشاغلة للرأي العام في الحالة الحاضرة

من بين هذه المسائل مسئلة ما كنا نود لها وجوداوهي ما يسمونه بمطالب الاقباط لان حالة البلاد لا تسمح بتقسيم المصالح بين أبنائها تبعاً لانقساماتهم الدينية

ستعرض عليكم موضوعات أخرى أدبية واقتصادية لتقرروا فيها الوسائط التي تساعد على رقي حالة التعليم ونمو الثروة العمومية

أبنائي الاعزاء :

اني وان كنت لا أشك في أنكم ستحكمون في مداولتكم ورغباتكم روح العدل والميل إلى تأييد الروابط الوطنية بينكم وبين سائر اخواننا وابنائنا من أبناء الديانات الاخرى ولكن ذلك لا يمنعني من أن أوصيكم بان تراعوا في مباحثكم وطلباتكم فوق

روح العدل والانصاف روح التسامح والانعطاف الذي عرفت به ديانتنا السمحاء
والله أسأل أن يكلل أعمالنا بالنجاح والسلام

وقد صفق الحاضرون وهتفوا بالدعاء لدولة الرئيس عند حضوره وفي خاتمة خطابه وبعد أن أتم الرئيس خطابه قام احمد لطفي بك السيد مدير { الجريدة } وشرع يتلو تقرير اللجنة التحضيرية { وهو الواضع الاول له } وساعده على تلاوته صديقاه احمد بك عبد اللطيف وعبد العزيز بك فهمي المحاميان · وهؤلاء الثلاثة كانوا مع بعض اخوانهم من حزب الامة هم الواضعين لنظام هذا المؤتمر والقائمين بأهم أعماله. وقد أتم المؤتمر اجتماعاته بحسب برنامجه الذي تراه بعد وكان النظام حسنا والكلام معتدلا

نشرنا في هذا الجزء طائفة من تقرير اللجنة التحضيرية الذي صادف إعجاب الجماهير من الناس ، وسننشر باقيه في الجزء الآتي ، ويرى القراء أن معظم ما فيه من المسائل جاءت موافقة لمقالاتنا « المسلمون والقبط » وكذلك الخطب المعتدلة الاخرى التي كانت كالشرح لهذا التقرير . ولا حاجة الى نشرها كلها في المنار بل نكتفي بنشر برنامج المؤتمر المبين لهاوما أقره من مطالبها ، وربما نختار شيئا منها بعد

﴿ بروجرام أعمال المؤتمر المصري الاول ﴾

يوم السبت ٣٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٩ الموافق ٢٩ أبريل سنة ١٩١١

(الجلسة الاولى)

من الساعة ١٠ أفرنكي صباحاً الى الظهر

(١) افتتاح المؤتمر بخطبة دولة الرئيس (٢) تلاوة تقرير لجنة المؤتمر

(الجلسة الثانية)

من الساعة ٥ مساء الى الساعة ٨ ونصف

(٣) في أن عناصر الجنس المصري كلها من أصل واحد ـ سعادة الدكتور أباتا باشا (٤) عطلة يوم الاحد ـ الاستاذ محمود بك أبو النصر (٥) العوامل الاجتماعية للحركة القبطية ـ الاستاذ محمد حافظ رمضان (٦) تمحيص مطالب الاقباط وازالة موجبات الشقاق ـ صالح بك حمدي حماد (٧) نظرة عامة حول مؤتمر الاقباط ـ ابراهيم بك غزالي عضو مجلس مديرية أسيوط

(يوم الاحد أول جمادي الاولى الموافق ٣٠ ابريل)

(الجلسة الثالثة)

من الساعة ٤ ونصف الى الساعة ٨ ونصف مساء

(٨) الاقلية الدينية والمجالس النيابية ـ الاستاذ احمد عبد اللطيف (٩) الكفاءة في التوظف ـ الاستاذ ابراهيم بك الهباوي (١٠) وسائل ترقية المرأة المسلمة المصرية ـ باحثة بالبادية (١١) التعليم العام ـ الاستاذ محمد بك ابو شادى

(يوم الاثنين ٢ جمادى الاولى الموافق ١ مايو)

(الجلسة الرابعة)

من الساعة ٤ ونصف الى الساعة ٨ ونصف مساء

(١٢) التعليم العام وحظ المسلمين والاقباط فيما تنفقه الامة عليه ـ سعادة الشيخ على يوسف (١٣) التعليم العلمي النافع للصناعة والزراعة والتجارة ـ على بك الشمسي (١٤) الصناع في مصر ـ ابراهيم بك رمزي (١٥) حماية وترويج المصنوعات الوطنية ـ الاستاذ جبرائيل كحيل بك (١٦) ضرورة ترك بدع المآتم والمقابر ـ الاستاذ محمد بك يوسف ١٧ اصلاح القضاء ـ عبد الستار افندي الباسل (١٨) الوسائل المؤدية للتوفيق بين العناصر المختلفة في مصر ـ احمد بك لطفي المحامي

(يوم الثلاثاء ٣ جمادى الاولى الموافق ٣ مايو)

(الجلسة الخامسة)

من الساعة ٤ ونصف الى الساعة ٨ ونصف مساء

(١٩) ضرورة مراعاة أحوال الزمان والمكان في تطبيق الاحكام الشرعية ـ الشيخ عبد العزيز جاويش (٢٠) حالة مصر الاقتصادية والمالية ـ يوسف بك نحاس (٢١) التعاون المالي والنقابات الزراعية ـ الاستاذ عمر بك لطفي (٢٢) مستودعات التأمين ـ الاستاذ محمود بك ابو النصر (٢٣) الربا الفاحش وضرورة العقاب عليه ـ الاستاذ هاشم محمد مهنا (٢٤) اضرار الربا الفاحش ـ الاستاذ محمد بك على ٢٥) حالتنا الاقتصادية الزراعية ـ احمد افندي الالفي

(يوم الاربعاء ٤ جمادى الاولى الموافق ٣ مايو)

(الجلسة السادسة)

من الساعة ٤ ونصف الى الساعة ٨ ونصف مساء

مناقشة الاقتراحات التي وردت في تقرير اللجنة وفي المواضيع التي تليت بالجلسات السابقة وغيرها مما ورد بالمواضيع والطلبات التي لم تصر تلاوتها اه

(المنار) هذا هو النظام والبرنامج الذي سار عليه المؤتمر كما وضعته اللجنة التحضيرية . ولقب الاستاذ قد أطلق على المحامين (وكلاء الدعاوي) وهو اصطلاح وضعه مدير (الجريدة) وقلده فيه كثير من الكتاب فصار معروفا في مصر وإنما نبهت عليه لئلا يظن قراء المنار في غير مصر ان هؤلاء الاساتذة من علماء الازهر وغير الازهر من المعاهد الدينية، وهؤلاء لم يخطب أحد منهم في هذا المؤتمر ولم يره أحد من شيوخهم الكبار

***

﴿ الجلسة الاخيرة ﴾

حضر دولة الرئيس الساعة الخامسة والدقيقة العشرين فقابله المؤتمرون بالهتاف . وبعد ان استراح قليلا في السرادق الخاص بدولته وكبار القوم أعلن افتتاح الجلسة ثم وقف الاستاذ عبد العزيز فهمي وتلا محاضر جلسات المؤتمر منذ افتتاحه الى اليوم وذكر أن جميع التقارير حفظت مع أوراق المؤتمر . وطلب أحد الحاضرين أن تحفظ هذه العبارة (وقد لوحظ أن الوقت يسمح بتلاوة خطبة الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش) فرد عليه الاستاذ احمد عبداللطيف بان لجنة المؤتمر كانت قد عينت ميعادا لقبول الخطب فلم يأت خطاب من الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش في الميعاد المعين. ولذلك لم يذكر في بروجرام المؤتمر وهذا هو السبب في قولنا وقد لوحظ الخ

ثم وقف الاستاذ احمد عبداللطيف وأخذ يتلو اقتراحات المطروحة على المؤتمر المصري فيما يتعلق بمطالب الاقباط وهذه صورتها :

﴿ الاقتراحات المطروحة على المؤتمر المصري الاول ﴾

مطالب الاقباط

(١) هل يرى المؤتمر امكان قسمة الحقوق السياسية في مصر بين طوائفها الدينية

المختلفة ؟ أو أن المؤتمر يقرر ان الامة المصرية هي في مجموعها كل لايقبل التجزئة في الحقوق السياسية وانه مع ما لكل طائفة دينية من الحرية التامة في عقيدتها فان للحكومة المصرية ديناً رسمياً واحداً هو الاسلام ؟

«ب» هل يرى المؤتمر من حقوق أية طائفة دينيـة في مصر ان تطلب عطلة يوم الاحد أو غيره من الايام ؟ ـ أو أن المؤتمر يرى الاقتصار على أن تكون العطلة الرسمية هي يوم الجمعة ؟

« ج » ألا يرى المؤتمر أن تكون قاعدة التعيين في وظائف الحكومة هي الكفاءة من جميع وجوهها : علمية وادارية واخلاقية معاً ؟

وألا يرى المؤتمر أن الاقباط تجاوزوا فيما نالوه من تلك الوظائف الحد المقبول وهل يرى وجوب إلفات نظر الحكومة الى تحقيق أسباب امتلاء الكثير من مصالحها بالموظفين الاقباط مع وجود الاكفاء من المسلمين وغيرهم من المصريين وهل يجب السعي وراء الحكومة في اعادة اللجنة المستديمة بنظارة المعارف لامتحان طالبي التوظف حتى لا يقع مثل هذا الغبن في المستقبل ؟

« د » هل يرى المؤتمر تعديل قانون الانتخاب بما يجعل لكل طائفة دينية مصرية دائرة انتخاب خاصة أو ان حق الانتخاب يبقى كما هو شائعاً بين جميع المصريين على السواء ؟

وهل يوافق المؤتمر على السعي لدى الحكومة في أن تجعل للكفاءة العلمية حظاً أوفر مما هو الآن في المجالس النيابية ؟

« ه » هل يوافق المؤتمر على اعطاء كل طائفة من طوائف الامة المصرية ما تجبيه منها مجالس المديريات من ضريبة الخمسة في المئة لتنفقه كما تشاء ؟ وهل يرى المؤتمر ان الاقباط متمتعون من التعليم بجميع أنواعه بأكثر مما يتفق مع نسبتهم العددية ونسبة ما يؤدونه من الضرائب ؟

« و » هل يرى المؤتمر أن للاقباط الحق في أن يطلبوا من الحكومة بصفتهم طائفة دينيه أن تنفق من خزينتها العمومية على مرافقهم الطائفية الخاصة ؟

فوافق المؤتمرون على جميع تلك الاقتراحات بعد أن حصل جدال في بعضها وخصوصا الاقتراح الثالث فان بعضهم طلب أن تراعى النسبة العددية في اسناد الوظائف

الى الاكفاء فرد عليه الاستاذ عبد العزيز فهمي قائلا ان تقسيم الوظائف بناء على النسبة العددية مخالف للاقتراح الاول الذي وافق عليه المؤتمرون وهوأن الامة واحدة لا تقبل التجزئة وان اعتبار النسبة العددية يؤدي الى المنازعات . ثم حض الحاضرين على التزام الهدوء والسكينة وقال إن العالم ينظر الينا الآن . ثم تكلم أيضاً الاستاذ احمد عبداللطيف وقال انه لا يمكن في بلدنا ولا في أي بلد آخر أن تقسم الوظائف بناء على النسبة العددية . وقال سعادة الشيخ علي يوسف انا قررنا فيما تقدم ان الحكومة اسلامية وان دين الاسلام هو دينها الرسمي فاذا قسمنا الوظائف على النسبة العددية نكون قد قسمنا الحكومة الى شطرين مبنيين على الدين وهذا مخالف لمصلحة الامة على أنه يرى أن المدير لا يمكنه ان يكون قبطيا لعدم مقدرته على ادارة شؤون المديرية التي يتولاها كما يجب من السلطة والنفوذ

فبقي بعضهم يعترض فقام الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش وقال ان الكفاءة الادارية تستوجب الثقة ولقد دلتنا التجارب على أن الاكثرية لا يمكنها ان تثق بالاقلية واستنتج من ذلك أن المدير يجب أن يكون مسلماً لتتم تلك الثقة المطلوبة . واقترح ان يضاف الى اقتراح المؤتمر هذه الكلمات (أن تكون الكفاءة الادارية كفيلة باستقامة الاحوال) وبعد مناقشة طويلة في هذا الشأن تقرر ابقاء الاقتراح على حاله ثم طلب الاستاذ احمد عبد اللطيف الى المؤتمرين أن يوافقوا على جعل اللجنة التحضيرية لجنة تنفيذية

ثم دارت المناقشة على الاقتراحات المعروضة على المؤتمر فقبل ما قبل ورفض ما رفض منها كما هو مبين فيما يلي

اقتراحات المؤتمرين وغيرهم

(ا) اللجنة التنفيذية

لا بد لتنفيذ قرارات هذا المؤتمر من لجنة دائمة تباشر هذا التنفيذ . ويعلم حضرات المؤتمرين ان اللجنة التحضيرية قد انحلت حيث انتهى عملها ولا يمكن أن تصير لجنة تنفيذية دائمة الا اذا أقرها المؤتمر على ذلك فهل تقرونها لجنة تنفيذية يكون من جملة وظيفتها دعوة هذا المؤتمر للاجتماع عند الاقتضاء وأن تنتخب لها مجلس ادارة وأن تضم اليها من تؤمل فيه المساعدة في مهمتها ؟

اقتراح مقدم من حضرات محمد بك حافظ رمضان وحسن بك عبد الرزاق والشيخ محمد عمر الانجياوي المحامي الشرعي بمصر . ابراهيم بك غزالي عضو مجلس مديرية أسيوط . محمود بك انيس بمصر . سليمان افندي فهمي من موظفي المالية سابقاً والآن بالسنطه . محمود افندي حمدي المحامي بكفر الزيات . محمد افندي البدوي رئيس نقابة تشل الزراعية . ابراهيم افندي فوزي بشارع محطة مصر بالاسكندرية. محمد افندي راغب بطنطا محمد افندي كامل بدرب القمح بالسيدة بمصر . ابراهيم بك دويدار عمدة شبرامنت . حسين بك عابدين . لجنة المؤتمر بمديرية المنوفية . سليمان افندي فهمي سليمان المحامي . علي عبد السلام بالسويس   (لها بقية)

﴿ اتفاق الدول والمانع لها من قبول دولتنا فيه ﴾

ذكر المقطم في عدده الذي صدر في ١٨ من هذا الشهر (٢٧ مايو) عظمة الامة الانكليزية والامة الامريكية وخبر اتفاقهما اتفاقاً يقرب من التحالف قال « وان فرنسا واليابان قد تشاركانهما في هذا الاتفاق ولا يبعد ان تشاركهما فيه روسية أيضاً حليفة فرنسا واذا نزعت أسباب الخلاف الجوهرية من بين انكلترة والمانيا سهل ضم التحالف الثلاثي الى هذا الاتفاق فيتفق نحو ست مئة مليون من الذين في يدهم الثروة والسلطة »

ثم بحث المقطم في حظ مصر والمملكة العثمانية من هذا الاتفاق واستدل بدخول اليابان فيه على أن اختلاف الدين لا يمنع الدولة العلية أن تحذو حذوها « في نقض كل حاجز يمنعها من الاستفادة من الاوربيين والامريكيين والنسج على منوالهم » ولكن لم يذكر لنا المقطم من مزايا اليابان في هذا المقام الا شيئاً واحداً . قال

« الظاهر ان الصبغة الدينية في اليابان ضعيفة جداً لان كثيرين من رجالها تنصروا فلم يسمعوا كلمة لوم من أحد وبعض الذين تنصروا صاروا وزراء وقواداً ولم يطعن أحد في وطنيتهم بل زادهم تنصرهم رفعة في عيون أهل وطنهم ، فهل تقابل الدولة العثمانية بالترحيب لو شاءت الانضمام الى التحالف الاوربي أو الاتفاق الاوربي وهل يرضى بذلك حزب المعممين الذين لا يرضون من سلطان العثمانيين أن يتنازل عن شيء من حقوقه الدينية كخليفة للمسلمين . هذه مسألة من أهم المسائل ويظهر لنا ان كثيرين من رجال الدولة العليـة الذين في يدهم الحل والعقـد الآن يودون أن

تزال كل الموانع التي تمنع العثمانيين من الانضمام الى الاتحاد الاوربي مهما كانت (أي ولو كانت حقوق الخليفة الدينية ورفع شأن المتنصرين) وهم عاملون على إزالتها ولو ببطء » ثم ذكر ان ما يرضيهم لايرضي غيرهم وان هذا هو السبب الاكبر للخلاف بين زعماء جمعية الاتحاد والترقي

هذا هو رأي المقطم ويظهر لنا أنه غالط فيه من وجوه ونبين ما عندنا في ذلك بالايجاز في المسائل الآتية

(١) ان السبب الصحيح لقبول دول اوربة وامريكة التحالف والاتفاق مع اليابان هو قوة اليابان الحربية التي كسرت بها أكبر دولة أوربية ، لا ضعف الدين ولا تعظيم شأن المتنصرين ! فالصين اكثر تساهلا من اليابان في الدين ولا نرى تلك الدول راغبة في محالفتها والاتفاق معها بل هم طامعون في بلادها يتربصون بها الدوائر ، والعثمانيون اشد تساهلا في الدين من اليونان ولكن أوربة ترجح كفة اليونان الذين يذبحون المسلمين في كريد بغير ذنب الا دينهم وميلهم الى دولتهم ولولا الدول الاوربية لما عجزت الدولة العلية عن تربية الكريديين بمثل ما كبحت به انكلترة ثورة الهند المشهورة

(٢) ان هذه المنقبة التي ذكرها المقطم لليابان في معرض حث العثمانيين على الاقتداء بهم ليست من المناقب التي تحلت بها الامم الاوربية ولا سيما الذين بدأ بذكرهم وذكر عظمتهم وهم الانكليز فهم من اشد الناس تمسكا بدينهم وقوة فيه ويبذلون للدعاة اليه في كل سنة قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، واذا اسلم الرجل منهم لا يرتفع قدره فيهم ولا يرقى الى المناصب العالية وكراسي الوزارة ، بل كانوا يرجمون مسلمي ليفربول بالحجارة ، وهو يعلم أنهم لا يساوون أهل الهند بأنفسهم لا في الحقوق ولا في مراتب الشرف . وغيرهم من الاوربيين أشد منهم في هذا الامر الاخير ، ولا سيما روسية . فلماذا يحثنا المقطم على الاقتداء في هذا الباب باليابانيين دون الاوربيين ، على ان تنصر المسلمين في المملكة العثمانية أندر من الكبريت الاحمر فليس له وقائع يحتج بها

(٣) نحن نوافق المقطم على القول بأن الاوربيين يرضيهم ان يضعف دين المسلمين ولاسيما العثمانيين وان يعظموا شأن من يتنصر ويرضوا قدره ويولوه الوزارة وقيادة الجيش ، وسبب هذا شدة عناية الاوربيين ومثلهم الامريكيون بنشر دينهم وإضعاف الاسلام الذين يرونه أقوى الاديان التي تقدر على الثبات أمام هجماته التي يريدون بها تصيير

البشر كلهم، بدليل مايبذلونه من الملايين في هذه السبيل، ولان لهم في بلاد المسلمين مطامع معروفة ، ولكننا لانوافق المقطم على أن ضعف ديننا يكفي لادخال دولتنا في الاتحاد الاوربي، وانما يؤهلنا لذلك شيء آخر وهو القوة، فالمصريون أشد تساهلا في الدين من الافغانيين لان المسلم اذا تمصر في مصر لايضطهد ولا يهان ، واذا تمصر في الأفغان يمزق ويكون جزرا للنسور والعقبان، وقد تركت انكلترة للافغان بلادهم لقوتهم ، واحتلت بلاد المصريين لضعفهم ؛

(٤) ماذا يعرف المقطم من أمر أصحاب العمائم في البلاد العثمانية عامة وفي الآستانة حيث النفوذ السياسي خاصة فيعرض بذكرهم في هذا المقام ؟ هل يضمن لنا الكاتب الفاضل قبول دول أوربة دخول دولتنا في اتحادهم اذا ضمنا له قبول أصحاب العمائم لذلك ؟ أؤكد للرصيف الكريم أنهم يرضون ذلك ويتمنونه ويرون ان من حقوق الخليفة عقد مثل هذا الاتفاق اذا كانت المصلحة العامة تقتضيه وهم لايجهلون أنه من المصلحة العامة ولعلهم أقرب الى كل وفاق بين الدولة وغيرها وبين عناصر الامة من أولئك الذين يظن المقطم فيهم أنهم دعاة الوفاق لانهم يتبجحون بذلك قولا ويقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم

(٥) اشار المقطم الى ان سبب الخلاف بين زعماء جمعية الاتحاد والترقي هو الدين وما يقتضيه من حقوق الخليفة وان أصحاب العمائم هم الذين عارضوا أولئك الزعماء الذين يريدون ان يزيلوا كل مايحول دون اتحاد الدولة باوربة مهما كان وليس الامر كذلك ، فان شيخ الاسلام وحزبه من أصحاب العمائم في المشيخة الاسلامية وغيرها كلهم من أنصار الذين يظن المقطم أنهم هم الذين يزيلون تلك الموانع، وأما الحزب الآخر فزعماؤه من حملة الطرابيش لامن حملة العمائم ، وليس لهؤلاء في الدولة سياسة خاصة يتولون زعامتها وليسوا كبعض الرهبنات النصرانية إلبا على المخالف، لان الاسلام ليس فيه امتياز لبعض الاصناف على بعض . وهذا الزي الذي عليه أكثر صنف العلماء قد ابتدعه الحكام ولم يكن في الصدر الاول ولم يكن عاما في زمن من الازمان

(٦) ان المتدينين من أصحاب العمائم وغيرها يعتقدون وجوب العمل بالشريعة في حقوق الخليفة وغيرها. وليس في الشريعة نصوص تمنع من عقد العهود بين المسلمين وغيرهم فقد عاهد النبي (ص) المشركين في الحديبية بشروط كان لهم فيها الرجحان حتى كره ذلك الصحابة ولم يقبلوه بعد المراجعة فيه الا بمحض الاذعان الذي هو شرط الايمان، وليس في الشريعة أيضا نصوص تمنع من استعمال غير المسلمين في أعمال الحكومة وقد استعمل

الصحابة الروم والقبط في دواوينهم وكذا من بعدهم الى يومنا هذا ولم نر مثل هذا التساهل من أوربة في منتهى مدنيتها ، لم لايتساهلون هذا التساهل مع المرتدجهراً .
وهؤلاء المتدينون ظاهرهم كباطنهم فالاتفاق معهم أسهل وأثبت . على انه ليس لهم في المملكة جمعيات سياسية لتنفيذ مايعتقدونانه الحق والصواب، وقد خالفت الحكومة اعتقادهم في مسائل كثيرة ولم يقاوموها بقول ولا فعل

وأما غير المتدينين منا فهم منافقون يحبون إضعاف الدين من حيث هو دين لا من حيث هو سياسة لتستقر زعامتهم وزعامة امثالهم لا لأجل مساواة أوربة والاتحاد بها ، وهم متفقون على إبقاء الدين آلة سياسية ، وقد ظهر من خطبهم وقوانينهم السرية ما يدل على ذلك . وهذا هو الذي ينفر أوربة منا ويبعدها عنا ، دون اتباع الدين من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ظاهرها كباطنها .

هذا ما احببنا بيانه للمقطم الاغر فلعله يترك التعريض بأصحاب العمائم في مثل هذه المباحث سواء في ذلك قلمه وأقلام أنصاره الذين عرض أحدهم باصحاب العمائم في مقام الدفاع عن الماسونية ولم نعهد ان اصحاب العمائم قاوموا الماسونية ولا شهروا بها كما يفعل اليسوعيون وغيرهم من رجال النصرانية ، فان كانوا يقيسون أولئك على هؤلاء فهذا قياس مع الفارق ، يعرفه من محص المسائل ووقف على الحقائق ،

﴿ احتلال فرنسة لمملكة المغرب الاقصى ﴾

بينا غير مرة ما ارتقى اليه فتح الاقوياء بالعلم والنظام والآلات الحربية لبلاد الضعفاء بالجهل والخلل وفقد الالات الحديثة ، ذلك الفتح المبني على قواعد الاقتصاد في المال والرجال ، ومبادلة المنافع مع حفظ الموازنة بين الدول الكبرى. فقد صارت الدول تقتسم الممالك فيا بينها بالاتفاق القولي فتمكن كل منها الاخرى من اتخاذ الوسائل للاستيلاء على حصتها بما يسمونه الاحتلال أو الحماية أو حفظ النفوذ وما أشبه ذلك من الاسماء اللاطيفة التي يخف وقعها على القلوب ، ويلوح من ورائها خيال الامل للمغلوب ، فلا تتوجه قواه كلها للدفاع

ما أبقى على كثير من الممالك الجاهلة المختلة الا تنازع الاقوياء عليها وهو عرض لا يدوم وهانحن نراها قد اتفقت بسد خلافها ، وكان من أثر هذا الاتفاق أن ظهرت الثورة في بلاد فارس فاحتلت الجنود الروسية في منطقة نفوذها منها وهي

الجنوبية وبدأت انكلترة في التمهيد لاحتلال حصتها وهي المنطقة الشمالية

وظهرت الثورة في المملكة المراكشية فاحتلتها الجنود الفرنسية في هذا الشهر كما أشرنا الى ذلك في مقالة (العالم الاسلامي والاستعمار الاوربي) وهذا هو أثر الاتفاق بين فرنسة وانكلترة على اقتسام مابقي من القسم الشمالي من افريقية سنة ١٩٠٤م وقد دخل في منطقة النفوذ الفرنسي في هذا الاتفاق مابين حدود طرابلس ومصر الى السنغال وبحيرة شاد ومنه مملكة برنو ومملكة وداي وأكثر من نصف الصحراء الكبرى بما فيها من الواحات وقدشرعت في احتلال تلك البلاد كلها . وأما مراكش فقد جعلوا لها معاهدة خاصة جعلوا لاسبانية نصيبا من النفوذ فما يقرب من حدودها فيها ، ونرى فرنسة قد احتلتها بجنودها

تسقط الممالك الاسلامية مملكة بعد مملكة فلا يروع ذلك أهل الممالك الاخرى من المسلمين لان السواد الاعظم من المسلمين جاهل بالسياسة وأساليبها والنافع والضار منها ، وأما الذين يشتغلون بالسياسة منهم فأ كثرهم قد انحلت رابطتهم الاسلامية بتأثير التعليم الاوربي واستبدلوا بها رابطة الجنس أو الوطن ومع هذا كله يتهمهم المتهمون بالجامعة الاسلامية إما للتحريض عليهم وإما لزيادة التنفير عن هذه الجامعة حتى لا يبقى مسلم تحدثه نفسه بامكانها أو استحسانها

كنا نعرف أخبار الثورة في البلاد المغربية من المقطم والاهرام وقلما نرى حديثاً عنها في جريدة من جرائد المسلمين وأما جرائد الاستانة والجرائد الفارسية فلا قيمة لمراكش عندهن ، وان سقوط ثمرة من شجرة أهون عليهم من سقوطها، وإذا ثبت بهذا ان مايسمونه الجامعة الاسلامية لامسمى له فليتق الله هؤلاء الفاتحون في هؤلاء الجاهلين المساكين الذين يستولون على بلادهم وليراعوا فيهم حقوق الانسانية .

قد سمعنا من فرنسة صوتاً جديداً ، سمعناها تعترف بخطأها في سياستها الاسلامية، وتقترح إنشاء قلم مخابرات للوقوف على حقيقة أحوال المسلمين الذين دخلوا والذين يراد إدخالهم في محيط سلطانها ، لاجل أن تتمكن من رفع الظلم عنهم ، وإقامة العدل والمدنية فيهم ، فان صح الخبر وسلكت مسلك انكلترة في السودان المصري فانها تجد كثيراً من عقلاء المسلمين عوناً لها ، ويخف على نفوسهم احتلالها لمراكش .

وسنبين مرادنا بهذا في المقالة الثانية التي تشفع بها مقالة (العالم الاسلامي) التي في هذا الجزء

﴿ تبرع محسن باشتراك عشر نسخ من المنار ﴾

جاءنا كتاب في البريد هذا نصه :

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد خصصت مبلغ ستة جنيهات مصرية للخير ولما كان مناركم المجلة الدينية الوحيدة في العالم التي حاربت الباطل ثلاث عشرة سنة بقوة عزيمة وثبات جأش لم يعهدا الا في أوديد (كذا) امثال الشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغاني رضي الله عنهما فكانت في هذا الباب ركن الحق الركين وعماد الدين المتين أردت تعميا لفائدتها وزيادة في نشرها ان أخصص بعض ذلك المبلغ أو كله لاشتراكات في هذه المجلة لمن لا يقدر على دفع القيمة من أفراد المسلمين الذين تفيدهم هذه المجلة أكثر من سواهم ولذا فسيرد لكم المبلغ على عدة دفع فاذا رأيتم جعله جميعه بدل اشتراكات في المجلة من أول محرم هذه السنة فعلتم والا جعلتم بعضه كذلك والبعض الآخر ثمنا لكتب تختارونها من مكتبة المنار ولما كنت ذا ايراد قليل فسأرسل لكم كل شهر ان شاء الله تعالى جانبا من ذلك المبلغ حتى ينتهي والآن أبادر بارسال ٢٠٠ قرش فيكون الباقي لكم ٤٠٠ قرش ولولا ان المدح يؤذيني كثيرا لاظهرت اسمي والسلام على من اتبع الهدى مصري

لحضرتكم الخيار المطلق فيمن تهبونه اشتراك سنة في المجلة أو تهدونه كتابا أو أكثر مما تنتخبونه من كتب ادارة المنار بما يعادل مبلغ الستة جنيهات مصري

(المنار) نشرنا خبر هذا التبرع في المؤيد تعجيلا بشكر هذا المحسن ، وتنويها باخلاص هذا المخلص ، فجاءتنا الرسائل تترى من طلاب العلم وغيرهم بطلب النسخ المتبرع بها وقد رجحت الادارة السابقين من المستحقين

﴿ تبرع محسن بثلاثين نسخة من جريدة الحضارة ﴾

تبرع محسن غني بثلاثين نسخة من جريدة الحضارة الشهيرة التي تصدر في الآستانة باللغة العربية مدة سنة كاملة من ابتداء المحرم الماضي . وهذه النسخ توزع على من يشتركون في المنار من أول هذه السنة ويدفعون بدل الاشتراك سلفا